

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الفرقان

مكية كلها في قول الجمهور^(١). وقال ابن عباس وقتادة: إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة، وهي: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢) [الآية: ٦٨-٧٠] وقال الضحّاك: هي مدنية، وفيها آيات مكية؛ قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الآيات^(٣).

ومقصود هذه السورة ذكر موضع عظيم^(٤) القرآن، وذكر مطاعن الكفار في النبوة، والرد على مقالاتهم^(٥)، فمن جملتها قولهم: إن القرآن افتراه محمد، وإنه ليس من عند الله^(٦).

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ يَنْخَضُ وَلَدًا ۖ وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا ۝٢ وَأَخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾.

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ «تَبَارَكَ» اختلف في معناه؛ فقال الفراء: هو

(١) المحرر الوجيز ٤/١٩٩.

(٢) النكت والعيون ٤/١٣٠، وزاد المسير ٦/٧١.

(٣) المحرر الوجيز ٤/١٩٩.

(٤) في النسخ: عظيم. والمثبت من (م).

(٥) بعدها في (م) وجهالاتهم.

(٦) ينظر المحرر الوجيز ٤/١٩٩.

في العربية و«تقدّس» واحدٌ، وهما للعظمة. وقال الزجاج: «تَبَارَكَ»: تَفَاعَلَ من البركة. قال: ومعنى البركة: الكثرةُ من كلِّ ذي خيرٍ. وقيل: «تَبَارَكَ»: تعالى. وقيل: تعالى عطاؤه، أي: زاد وكثُر. وقيل: المعنى دام وثبت إنعامه. قال النحاس^(١): وهذا أولها في اللغة والاشتقاق؛ من بَرَكَ الشيءُ: إذا ثبت، ومنه: بَرَكَ الجملُ والطيرُ على الماء، أي: دام وثبت. فأما القولُ الأوّلُ فمخلَطٌ؛ لأنَّ التقديس إنما هو من الطهارة، وليس من ذا في شيء. قال الثعلبيُّ: ويقال: تبارك الله، ولا يقال له^(٢): متبارك ولا مبارك؛ لأنه ينتهي في أسمائه وصفاته إلى حيث وردَ التوقيفُ. وقال الطرمّاح:

تباركت لا مُعطي لشيءٍ منعتَه وليس لِمَا أعطيتَ يا ربُّ مانعُ^(٣)
وقال آخر:

تَبَارَكْتَ مَا تَقْدِيرُ يَقَعُ وَلَكَ الشُّكْرُ^(٤)

قلت: قد ذكر بعضُ العلماء في أسمائه الحسنى: «المبارك»، وذكرناه أيضاً في كتابنا^(٥). فإن كان وقع اتفاقٌ على أنه لا يقال، فيسلم للإجماع، وإن كان وقع فيه اختلاف؛ فكثيرٌ من الأسماء اختلف في عدّه؛ كالدهر وغيره. وقد نبّهنا على ذلك هنالك، والحمد لله.

و«الفرقان»: القرآن. وقيل: إنه اسمٌ لكلِّ مُنزّل، كما قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَرُونَ الْفُرْقَانَ﴾ [الأنبياء: ٤٨].
وفي تسميته فرقاناً وجهان:

(١) في إعراب القرآن ١٥١/٣، وما قبله منه، وينظر قول الفراء في معاني القرآن له ٢٦٢/٢، وقول الزجاج في معاني القرآن له ٥٧/٤.

(٢) لفظة: له من النسخ الخطية.

(٣) لم تقف عليه.

(٤) عجز بيت لأبي صخر الهذلي، صدره: ولا عانداً ذاك الزمان الذي مضى. وسلف ٢٧١/١٤.

(٥) لم تقف عليه في المطبوع من كتاب الأسنى للمصنف، ومعلوم أن أسمائه سبحانه وصفاته توقيفية كما ذكر الثعلبي وغيره من العلماء.

أحدهما : لأنه فرّق بين الحقّ والباطل ، والمؤمن والكافر .

الثاني : لأن فيه بيان ما شرع من حلالٍ وحرامٍ ؛ حكاة النقاش^(١) ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ يريد محمداً ﷺ . ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ اسم «يَكُونُ» فيها مضمّر يعود على «عَبْدِهِ» وهو أولى لأنه أقرب إليه . ويجوز أن يكون يعود على «الفرقان» .

وقرأ عبدُ الله بن الزبير : «عَلَىٰ عِبَادِهِ»^(٢) . ويقال : أنذر : إذا خَوْفٌ ؛ وقد تقدّم في أول «البقرة»^(٣) . والنذير : المحذّر من الهلاك . الجوهري^(٤) : والنذير : المنذّر ، والنذير : الإنذار .

والمراد بـ «العالمين» هنا الإنس والجنّ ، لأن النبي ﷺ قد كان رسولا إليهما ، ونذيراً لهما ، وأنه خاتم الأنبياء ، ولم يكن غيره عامّ الرسالة إلا نوحٌ ؛ فإنه عمّ برسالته جميع الإنس بعد الطوفان ؛ لأنه بدأ به الخلق^(٥) .

قوله تعالى : ﴿الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ عَظَمَ تعالى نفسه . ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ﴾ نَزَّهُ سبحانه وتعالى نفسه عمّا قاله المشركون من أن الملائكة أولادُ الله ؛ يعني بنات الله سبحانه وتعالى ، وعمّا قالت اليهودُ : عُزَيْرُ ابن الله ؛ جلّ الله تعالى ، وعمّا قالت النصارى : المسيح ابن الله ؛ تعالى الله عن ذلك . ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ﴾ كما قال عبدة الأوثان^(٦) . ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لا كما قال المجوس والثنوية^(٧) : إن الشيطان أو الظلّمة يخلق بعض الأشياء . ولا كما يقول من قال : للمخلوق قدرة الإيجاد . فالآية ردٌّ على هؤلاء^(٨) . ﴿فَقَدَرَهُ نَفِيرًا﴾ أي : قدر كلَّ شيءٍ مما خلق

(١) النكت والعيون ١٣١/٤ .

(٢) القراءات الشاذة ص ١٠٣ ، والمحاسب ١١٧/٢ .

(٣) ٢٨١/١ .

(٤) في الصحاح (نذر) .

(٥) النكت والعيون ١٣١/٤ .

(٦) ينظر تفسير الطبري ٣٩٦/١٧ ، والوسيط ٣٣٢/٣ .

(٧) الثنوية : فرقة زعمت أن النور والظلّمة أزليان قديمان ، بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام ... اهـ . الملل والنحل ٢٤٤/١ .

(٨) ينظر تفسير الرازي ٤٦/٤ ، والفرق بين الفرق لعبد القاهر البгдаدي ص ٢٦١ .

بحكمته على ما أراد، لا عن سهو^(١) وعفلة، بل جرت المقادير على ما خلق الله إلى يوم القيامة وبعد القيامة، فهو الخالق المقدر؛ فإياه فاعبدوه.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ ذكر ما صنع المشركون على جهة التعجيب^(٢) في اتخاذهم الآلهة، مع ما أظهر من الدلالة على وحدانيته وقدرته. ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ يعني الآلهة. ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ لما اعتقد الكفار^(٣) فيها أنها تضر وتنتفع، عبر عنها كما يعبر عما يعقل. ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي: لا دفع ضرر وجلب نفع، فحذف المضاف.

وقيل: لا يقدر أن يضروا أنفسهم أو ينفعوها بشيء، ولا لمن يعبدهم، لأنها جمادات. ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ أي: لا يميتون أحداً، ولا يحيون^(٤). والنشور: الإحياء بعد الموت؛ أنشر الله الموتى فنشروا. وقد تقدم^(٥). وقال الأعشى^(٦):

حتى يقول الناسُ مما رأوا يا عجباً للميتِ النَّاشِرِ

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ ④ وَقَالُوا أَسْطِطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكَتَبَهَا فِيهِ تَمَلَّنْ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ⑤ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ⑥

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني مشركي قريش. وقال ابن عباس: القائل

(١) في (د) و(ف) شهوة، وفي (م) سهوة، والمثبت من (ز) و(ظ).

(٢) في (د) و(ظ): التعجب، وفي (ز): النعت.

(٣) في (م): المشركون.

(٤) ينظر زاد المسير ٧٢/٦.

(٥) ٢٥٢/٩ - ٢٥٣.

(٦) ديوانه ص ١٩١.

منهم ذلك النضر بن الحارث ؛ وكذا كلُّ ما كان في القرآن فيه ذكر الأساطير^(١) . قال محمد بن إسحاق : وكان مؤذياً للنبي ﷺ^(٢) . ﴿إِنَّ هَذَا﴾ يعني القرآن . ﴿إِلَّا إِنْكَ أَقْرَبَهُ﴾ أي : كذب اختلقه . ﴿وَأَمَانُهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ يعني اليهود ؛ قاله مجاهد^(٣) . وقال ابن عباس : المراد بقوله : «قَوْمٌ آخَرُونَ» : أبو فكيهة مولى بني الحضرمي ، وعدّاس ، وجبر ، وكان هؤلاء الثلاثة من أهل الكتاب^(٤) . وقد مضى في «التحل» ذكرهم^(٥) ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا﴾ أي : بظلم . وقيل : المعنى : فقد أتوا ظلماً ﴿وَزُورًا﴾ . وقالوا : أساطير الأولين ﴿قال الزجاج^(٦) : واحد الأساطير أسطورة ؛ مثل : أحدوثة وأحاديث .

وقال غيره : أساطير جمع أسطار ؛ مثل أقوال وأقويل^(٧) . ﴿اكتنّبها﴾ يعني محمداً . ﴿فهي تملى عليه﴾ أي : تلقى عليه وتقرأ . ﴿بكرةً وأصيلًا﴾ حتى تحفظ^(٨) . و«تملى» أصله : تملّل ، فأبدلت اللام الأخيرة ياء [هرباً] من التضعيف^(٩) : كقولهم : تقضى البازي^(١٠) ؛ وشبهه .

(١) النكت والعيون ٤/١٣٢ ، والمحجر الوجيز ٤/٢٠٠ .

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية ١/٣٠٠ مطولاً ، وأخرجه الطبري في التفسير ١٧/٣٩٩-٤٠٠ عن ابن عباس ، من رواية ابن إسحاق .

(٣) النكت والعيون ٤/١٣٢ ، والمحجر الوجيز ٤/٢٠٠ ، وقول مجاهد في تفسيره ٢/٤٤٧ ، وأخرجه الطبري ١٧/٢٩٨ ، وابن أبي حاتم ٨/٣٦٦٣ (١٤٩٧٢) .

(٤) المحجر الوجيز ٤/٢٠٠ ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦/٧٢-٧٣ عن قتادة ، ٤٢٨/١٢ (٥) .

(٦) في معاني القرآن ٤/٥٨ .

(٧) البيان لابن الأنباري ٢/٢٠٢ .

(٨) زاد المسير ٦/٧٣ .

(٩) ينظر سر صناعة الإعراب ٢/٧٥٨ وما بين حاضرتين منه .

(١٠) قال الزبيدي في تاج العروس (قض) : الأصل : تقضض ، فلما اجتمعت ثلاث ضادات ؛ قلبت إحداهن ياءً ، كما قالوا : تمطى ، وأصله : تمطط ، أي : تمدد ، وكذلك : تظنى من الظن .

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: قل يا محمد: أنزل هذا القرآن الذي يعلم السرّ، فهو عالم الغيب، فلا يحتاج إلى مُعلّم.

وذكر «السرّ» دون الجهر؛ لأنه من علم السرّ فهو في الجهر أعلم. ولو كان القرآن مأخوذاً من أهل الكتاب وغيرهم لَمَا زاد عليها، وقد جاء بفنون تخرج عنها، فليس مأخوذاً منها. وأيضاً: ولو كان مأخوذاً من هؤلاء لتمكن المشركون منه أيضاً كما تمكّن محمد ﷺ؛ فهَلَّا عارضوه؟! فبطل اعتراضهم من كل وجه^(١). ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يريد غفوراً لأوليائه رحيماً بهم^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُنْفَخَ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾.

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: «وَقَالُوا»؛ ذكر شيئاً آخر من مطاعنهم. والضمير في «قَالُوا» لقريش؛ وذلك أنهم كان لهم مع رسول الله ﷺ مجلس مشهور، وقد تقدّم في «سبحان»^(٣). ذكره ابن إسحاق في السيرة وغيره، مضمّنه: أن سادتهم عتبة بن ربيعة وغيره اجتمعوا معه فقالوا: يا محمد، إن كنت تحبّ الرياسة وليناك علينا، وإن كنت تحب المال جمعنا لك من أموالنا. فلما أبى رسول الله ﷺ عن ذلك رجعوا في باب الاحتجاج معه، فقالوا: ما بالك وأنت رسول الله تأكل الطعام، وتقف بالأسواق^(٤)!

(١) ينظر تفسير الرازي ٥١/٢٤.

(٢) الوسيط ٣/٣٣٤.

(٣) ١٧٢/٢٣ وما بعدها.

(٤) في (ظ) في الأسواق، والكلام في المحرور الوجيز ٤/٢٠٠-٢٠١، وعنه نقل المصنف كلام ابن إسحاق، وهو بنحوه في السيرة النبوية ١/٢٩٣ - ٢٩٤.

فَعَيَّرُوهُ بِأَكْلِ الطَّعَامِ؛ لَأَنَّهُمْ أَرَادُوا أَن يَكُونَ الرَّسُولُ مَلَكًا، وَعَيَّرُوهُ بِالْمَشْيِ فِي الْأَسْوَاقِ حِينَ رَأَوْا الْأَكَاسِرَةَ وَالْقِيَاصِرَةَ وَالْمَلُوكَ الْجَبَابِرَةَ يَتَرَفَّعُونَ عَنِ الْأَسْوَاقِ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَخَالِطُهُمْ فِي أَسْوَاقِهِمْ، وَيَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ؛ فَقَالُوا: هَذَا يَطْلُبُ أَنْ يَتَمَلَّكَ عَلَيْنَا، فَمَا لَهُ يَخَالَفُ سِيرَةَ الْمَلُوكِ؟ فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠] فلا تَعْتَمَّ وَلَا تَحْزَنْ، فَإِنَّهَا شَكَاةٌ ظَاهِرَةٌ عَنْكَ عَارُهَا^(١).

الثانية: دخول الأسواق مباحٌ للتجارة وطلب المعاش. وكان عليه الصلاة والسلام يدخلها لحاجته؛ ولتذكرة الخلق بأمر الله ودعوته، ويعرض نفسه فيها على القبائل، لعلَّ الله أن يرجع بهم إلى الحق^(٢). وفي البخاري^(٣) في صفته عليه الصلاة والسلام: «ليس بفظ ولا غليظ ولا سخَّاب في الأسواق» وقد تقدَّم في «الأعراف»^(٤). وذكر السوق مذکور في غير ما حديث، ذكره أهل الصحيح. وتجارة الصحابة فيها معروفة، وخاصة المهاجرين؛ كما قال أبو هريرة: وإنَّ إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ؛ خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ^(٥). وسيأتي لهذه المسألة زيادة بيان في هذه السورة إن شاء الله^(٦).

(١) في قوله: «شكاة ظاهر عنك عارها» تضمن لبيت أبي ذؤيب الهذلي

وعَيَّرَهَا الْوَاشُونَ أَنِّي أَحْبَبْتُهَا
وتلك شكاة ظاهر عنك عارها
وسلف في تفسير الآية (٢٢) من سورة الكهف.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٤٠٢، والكلام بنحوه في السيرة النبوية ١/٣٠٩.

(٣) برقم (٢١٢٥) وهو من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم.

(٤) ٣٥٤/٩.

(٥) برقم (١١٨) وهو عند أحمد (٧٢٧٥)، ومسلم (٢٤٩٢).

وقوله: الصَّفْقُ: قال السندي: كناية عن البيع والشراء، أي: أنهم كانوا أصحاب تجارات، وكان الأنصار أصحاب زراعات وبساتين.

(٦) عند تفسير الآية (٢٠).

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مَلَكًا﴾ أي: هَلَا. ﴿فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ جواب الاستفهام. ﴿أَوْ يُنْفَخَ﴾ في موضع رفع؛ والمعنى: أَوْ هَلَا يُلْقَى ﴿إِلَيْكَ كِتَابًا﴾ ﴿أَوْ﴾ هَلَا ﴿تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾^(١) «يَأْكُلُ» بالياء قرأ المدنيون وأبو عمرو وعاصم. وقرأ سائر الكوفيين بالنون^(٢)، والقراءتان حسنتان تؤديان عن معنى، وإن كانت القراءة بالياء أبين؛ لأنه قد تقدم ذكر النبي ﷺ وحده، فأن يعود الضمير عليه أبين؛ ذكره النحاس^(٣). ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ تقدم في «سبحان»^(٤) والقائل عبد الله بن الزُّبَيْرِي فيما ذكره الماوردي^(٥).

قوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾^(٦) تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا^(٧).

قوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ أي: ضَرَبُوا لَكَ هَذِهِ الْأَمْثَالَ ليتوصلوا إلى تكذيبك، ﴿فَضَلُّوا﴾ عن سبيل الحق وعن بلوغ ما أرادوا. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إلى تصحيح ما قالوه فيك.

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ﴾ شرط ومجازاة، ولم يُدغم «جَعَلَ لَكَ» لأن الكلمتين منفصلتان، ويجوز الإدغام لاجتماع المثليين^(٦). ﴿وَيَجْعَلُ لَكَ﴾ في موضع جزم عطفاً على موضع «جعل». ويجوز أن يكون في موضع رفع مقطوعاً من الأول. وكذلك قرأ أهل الشام. ويروى عن عاصم أيضاً: «وَيَجْعَلُ لَكَ» بالرفع، أي: وسيجعلُ لك في الآخرة قصوراً^(٧).

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٥٢/٣.

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالنون، والباقون من السبعة بالياء. السبعة ص ٤٦٢، والتيسير ص ١٦٣.

(٣) في إعراب القرآن ١٥٢/٣-١٥٣.

(٤) ٩٧/١٣.

(٥) في النكت والعيون ١٣٤/٤.

(٦) وهو هنا من الإدغام الكبير لأبي عمرو من رواية السوسي.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ١٥٢/٣، وقرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية شعبة: ويجعلُ، =

قال مجاهد: كانت قريش ترى البيت من حجارة يسمى^(١) قصرًا كائنًا ما كان^(٢).
والقصر في اللغة: الحبس، وسمي القصر قصرًا لأن من فيه مقصورٌ عن أن
يُوصَلَ إليه^(٣).

وقيل: العرب تسمي بيوت الطين القَصْرَ، وما يُتخذ من الصوف والشعر
البيت^(٤)؛ حكاه القشيري.

وروى سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن خَيْثَمَةَ قال: قيل للنبي ﷺ: إن شئت
أن نُعطيك خزائن الدنيا ومفاتيحها، ولم يُعط ذلك من قبلك ولا يعطاه أحدٌ بعدك،
وليس ذلك بناقصك في الآخرة شيئاً؛ وإن شئت جمعنا لك ذلك في الآخرة؛ فقال:
«يجمع^(٥) ذلك لي في الآخرة». فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ
خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾^(٦).

ويروى أن هذه الآية أنزلها رضوان خازن الجنان إلى النبي ﷺ، وفي الخبر: إن
رضوان لما نزل سلم على النبي ﷺ، ثم قال: يا محمد! رب العزة يُقرئك السلام،
وهذا سَفَطٌ^(٧) - فإذا سَفَطٌ^(٨) من نور^(٩) يتلألأ - يقول لك ربك: هذه مفاتيح خزائن
الدنيا، مع أنه لا ينقص مالك في الآخرة مثل جناح بعوضة؛ فنظر النبي ﷺ إلى جبريل
كالمستشير له، فضرب جبريل بيده الأرض؛ يُشير^(١٠) أن تواضع، فقال: «يا

= بالرفع، والباقون بالجزم. السبعة ص ٤٦٢. والتيسير ص ١٦٣.

(١) لفظة يسمى من (ظ).

(٢) تفسير مجاهد ٢/٤٤٨، وأخرجه الطبري في تفسيره ١٧/٤٠٧، وابن أبي حاتم ٨/٢٦٦٦ (١٤٩٩٦).

(٣) الكلام بنحوه في تهذيب اللغة ٨/٣٥٩.

(٤) ذكر هذا القول ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٢٠١.

(٥) في (ظ) تجمع.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة ١١/٥٠٩، وابن أبي حاتم ٨/٢٦٦٦ (١٤٩٩١)، وهو مرسل. وأخرجه الطبري
في تفسيره ١٧/٤٠٨ عن حبيب قال: قيل للنبي ﷺ..

(٧) في النسخ الخطية: سوط. والمثبت من (م)، والسَفَطُ وعاء، كالفَقَّة. القاموس (سَفَط).

(٨) في (د) (وز) سوط، وفي (ظ) (وف) بسوط، والمثبت من (م).

(٩) في (د) لؤلؤ.

(١٠) بعدها في (ظ): إلى.

رضوان، لا حاجة لي فيها، الفقر أحب إليّ وأن أكون عبداً صابراً شكوراً». فقال رضوان: أصبت! أصاب^(١) الله لك. وذكر الحديث^(٢).

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُمْ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أَلْقَا مِّنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقْرَّبِينَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ يريد يوم القيامة. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ يريد جهنم تتلظى عليهم. ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: من مسيرة خمس مئة عام^(٣). ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا﴾ قيل: المعنى إذا رأتهم جهنم سمعوا لها صوت التغيط عليهم. وقيل: المعنى: إذا رأتهم خزائنها سمعوا لهم^(٤) تغيطاً وزفيراً حرصاً على عذابهم^(٥). والأول أصح؛ لما روي مرفوعاً أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَذَّبَ عَلَيَّ مَتَعْمِداً فَلْيَتَبَوَّأ بَيْنَ عَيْنِي جَهَنَّمَ مَقْعِداً» قيل: يا رسول الله! ولها عينان؟ قال: «أما سمعتم الله عزّ وجلّ يقول: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا﴾»^(٦). يخرج عُتُقٌ من النار له عينان تبصران، ولسانٌ يُنْطِقُ فيقول: وَكُلْتَ بِكُلِّ مَنْ جَعَلَ مَعِ

(١) لفظة أصاب من (ز) وأسباب النزول. وجاءت العبارة في (ز): أصاب الله بك.

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص ٣٤٥-٣٤٦ عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا إسناد ضعيف جداً.

(٣) تفسير أبي الليث ٤٥٥/٢.

(٤) في النسخ الخطية: لها، والمثبت من (م).

(٥) الكلام بنحوه في تفسير الرازي ٥٦/٢٤.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٤٠٩/١٧، وابن أبي حاتم ٢٦٦٧/٨ (١٤٩٩٩) عن خالد بن دريك، عن رجل من أصحاب محمد ﷺ... وخالد بن دريك؛ قال الحافظ ابن حجر في التقریب: ثقة يرسل. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٣١-١٣٢ (٧٥٩٩) من حديث أبي أمامة. قال الهيثمي في المجمع ١٤٨/١: رواه الطبراني في الكبير وفيه الأحوص بن حكيم، ضعفه النسائي وغيره، ووثقه المعجلي ويحيى بن سعيد القطان في رواية، ورواه عن الأحوص محمد بن الفضل بن عطية، وهو ضعيف.

وقوله ﷺ: «مَنْ كَذَّبَ عَلَيَّ مَتَعْمِداً فَلْيَتَبَوَّأ مَقْعِداً مِنَ النَّارِ» صحيح متواتر، وسلف ٥٧/١.

اللَّهُ إِلَهًا آخَرَ ، فَلهُو أَبْصَرُ بِهِم مِّنَ الطَّيْرِ بِحَبِّ السَّمِيسِمِ فَيَلْتَقِطُهُ»^(١).

وفي رواية: «فَيَخْرُجُ عُتُقٌ مِّنَ النَّارِ فَيَلْتَقِطُ الْكُفَّارَ لَقَطَ الطَّائِرِ حَبَّ السَّمِيسِمِ» ذكره رَزِينُ فِي كِتَابِهِ ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي قِبْسِهِ^(٢) ، وَقَالَ : أَي : يَفْصِلُهُمْ^(٣) عَنِ الْخَلْقِ فِي الْمَعْرِفَةِ كَمَا يَفْصِلُ الطَّائِرُ حَبَّ السَّمِيسِمِ مِنَ التَّرْبَةِ .

وَخَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يَخْرُجُ عُتُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ تَبْصِرَانِ ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُولُ : إِنِّي وَكَلْتُ بِثَلَاثَ : بِكَلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، وَبِكَلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَبِالْمَصُورِينَ» .

وَفِي الْبَابِ عَنِ أَبِي سَعِيدٍ . قَالَ أَبُو عَيْسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ^(٤) .

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا كَتَغِيظِ بَنِي آدَمَ وَصَوْتًا كَصَوْتِ الْحَمَارِ^(٥) .

وَقِيلَ : فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ ، سَمِعُوا لَهَا زَفِيرًا وَعَلِمُوا لَهَا تَغِيظًا .

وَقَالَ قَطْرِبٌ : التَّغِيظُ لَا يُسْمَعُ ، وَلَكِنْ يُرَى ، وَالْمَعْنَى : رَأَوْا لَهَا تَغِيظًا ، وَسَمِعُوا لَهَا زَفِيرًا^(٦) ؛ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَرَأَيْتَ زَوْجَكَ فِي الْوَعَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمَحًا
أَي : وَحَامِلًا رُمَحًا^(٧) .

وَقِيلَ : «سَمِعُوا لَهَا» أَي : فِيهَا ، أَي : سَمِعُوا فِيهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا لِلْمَعْدِبِينَ ، كَمَا

قَالَ تَعَالَى : ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ﴾ [هود: ١٠٦] و«فِي» وَاللَّامُ يَتَقَارِبَانِ ؛ تَقُولُ : أَفْعَلُ هَذَا فِي اللَّهِ وَلِلَّهِ .

(١) أَخْرَجَهُ بِنُحُوهِ الْحَارِثُ بْنُ أَسَامَةَ (١١٢٢) (بَغِيَّةُ الْبَاحِثِ) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَطْرُولًا .

(٢) ١١٠٩/١ - ١١٠٠ .

(٣) فِي (ز) وَ(ف) وَ(م) تَفْصِلُهُمْ . وَالْمَثَبُ مِنْ (ظ) وَالْقَبْسُ .

(٤) سَنَنُ التِّرْمِذِيِّ (٢٥٧٤) ، وَحَدِيثًا أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ عِنْدَ أَحْمَدَ بَرَقْمِي (٨٤٣٠) وَ(١١٣٥٤) .

وَقَوْلُهُ : «عُتُقٌ» أَي : طَائِفَةٌ مِنْهَا . النَّهْيَةُ (عُتُقٌ) .

(٥) هُوَ فِي تَفْسِيرِ أَبِي اللَّيْثِ ٤٥٥/٣ دُونَ نِسْبَةٍ ، وَجَاءَتِ الْعِبْرَةُ فِي (ظ) : تَغِيظًا وَزَفِيرًا كَتَغِيظِ بَنِي آدَمَ ...

(٦) ذَكَرَهُ عَنْهُ الرَّازِيُّ - بِنُحُوهِ - فِي تَفْسِيرِهِ ٥٦/٢٤ .

(٧) تَفْسِيرُ الْبَغْوِيِّ ٣/٣٦٣ وَالْبَيْتُ قَائِلُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِيِّ . دِيْوَانُهُ ص ٣٢ ، وَسَلَفُ ٢٩١/١ .

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَعِيفًا مُقَرَّنِينَ﴾ قال قتادة: ذكر لنا أن عبد الله كان يقول: إن جهنم لتضيق على الكافر كضيق الزج على الرمح؛ ذكره ابن المبارك في رقائقه^(١). وكذا قال ابن عباس، ذكره الثعلبي والقشيري عنه، وحكاه الماوردي عن عبد الله بن عمرو^(٢). ومعنى «مُقَرَّنِينَ»: مكتفين؛ قاله أبو صالح. وقيل: مصفدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال. وقيل: قُرِنُوا مع الشياطين، أي: قُرِنَ كُلُّ واحدٍ منهم إلى شيطانه؛ قاله يحيى بن سلام^(٣). وقد مضى هذا في «إبراهيم»^(٤) وقال عمرو بن كلثوم:

فَأَبُوا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا وَأَبْنَا بِالْمَلُوكِ مُقَرَّرَيْنَا
 ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ أي: هلاكاً؛ قاله الضحاك. ابن عباس: وثلاً^(٥).

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: أول من يقوله إبليس، وذلك أنه «أول من يُكْسَى حُلَّةً من النار، فتوضع على حاجبيه، ويسحبها من خلفه، ودُرَيْتَهُ من خلفه، وهو يقول: واثبورا»^(٦).

وانتصب على المصدر، أي: ثَبَرْنَا ثُبُورًا؛ قاله الزجاج^(٧). وقال غيره: هو

(١) في زوائد نعيم بن حماد ص ٨٦ (٢٩٩)، وابن أبي حاتم ٢٦٦٨/٨ (١٥٠٠٦) وقال: لم يروه عنه إلا ابن المبارك.

وقوله الزج: هو الحديد في أسفل الرمح. القاموس (زجاج).

(٢) النكت والعيون ١٣٤/٤، وفيه أيضاً قول أبي صالح الآتي. وأخرجه عنه ابن أبي حاتم ٢٦٦٨/٨ (١٥٠٠٧)، و ٢٦٦٩ (١٥٠٠٨).

(٣) النكت والعيون ١٣٤/٤، والكلام بنحوه في تفسير البغوي ٣٦٣/٣.

(٤) ١٧٠-١٧١/١٢، وسلف ثمة بيت عمرو الآتي، وسلف البيت أيضاً ١٥٥/٢.

(٥) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره ٤١١/١٧، وابن أبي حاتم ٢٦٦٩/٨ (١٥٠١٣) عن ابن عباس (١٥٠١٤) عن الضحاك.

(٦) أخرجه الإمام أحمد (١٢٥٣٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي إسناده علي بن زيد بن جُدعان، وهو ضعيف، كما ذكر الحافظ ابن حجر في التقريب قوله: واثبورا قال السندي كما في حاشية المسند: كأنه ينادي الهلاك، ويقول له: هذا أوانك فالحقني.

(٧) في معاني القرآن ٤/٥٩-٦٠، ونقله عنه النحاس في إعراب القرآن ٣/١٥٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٧٦/٦.

مفعول به.

قوله تعالى: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجِدًا وَاَدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ فَإِنَّ هَلَاقَكُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَدْعُوا مَرَّةً وَاحِدَةً. وقال: ثُبُورًا؛ لأنه مصدر يقع للقليل والكثير، فلذلك لم يجمع، وهو كقولك: ضربته ضرباً كثيراً، وقعد قعوداً طويلاً. ونزلت الآيات في ابن خَطَل وأصحابه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْتَوْلاً ﴿١٦﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾.

إن قيل: كيف قال: «أَذَلِكَ خَيْرٌ» ولا خير في النار؟ فالجواب: أن سبويه حكى عن العرب: الشقاء أحب إليك أم السعادة؟ وقد علم أن السعادة أحب إليه.

وقيل: ليس هو من باب أفعل منك، وإنما هو كقولك: عنده خير. قال النحاس^(١): وهذا قول حسن؛ كما قال:

فَسَرُّكُمَْا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ^(٢)

قيل: إنما قال ذلك؛ لأن الجنة والنار قد دخلتا في باب المنازل^(٣)؛ فقال ذلك لتفاوت ما بين المنزلتين.

وقيل: هو مردود على قوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ الآية.

وقيل: هو مردود على قوله: ﴿أَوْ يُفَقِّهْ إِلَيْهِ كَنْزًا أَوْ تَكُونُ لَهُمْ جَنَّةً يَأْكُلُ

(١) في إعراب القرآن ٣/١٥٤، وما قبله منه.

(٢) عجز بيت لحسان بن ثابت، وصدرة: أتتهجوه ولست له بكفء. وهو في ديوانه ص ٦٤، وسلف ٣٤٧/١.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/٦٠.

مِنْهَا ﴿١٥﴾. وقيل: إنما قال ذلك على معنى: علمكم واعتقادكم أيها الكفار؛ وذلك أنهم لما كانوا يعملون عمل أهل النار صاروا كأنهم يقولون: إن في النار خيراً. قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ أي: من النعيم. ﴿خَلِيدِينَ كَانَتْ عَلَى رَيْكَ وَعَدَا مَسْئُولًا﴾ قال الكلبي: وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ جَزَاءً عَلَى أَعْمَالِهِمْ ، فسألوه ذلك الوعد فقالوا: ﴿رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]. وهو معنى قول ابن عباس (١).

وقيل: إن الملائكة تسأل لهم الجنة؛ دليله قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ [غافر: ٨] الآية. وهذا قول محمد بن كعب القُرظي (٢). وقيل: معنى «وَعَدَا مَسْئُولًا» أي: واجباً وإن لم يكن يُسأل كالدين؛ حكى عن العرب: لأعطينك ألفاً. وقيل: «وَعَدَا مَسْئُولًا» يعني أنه واجب لك فتسأله (٣). وقال زيد بن أسلم: سألوا الله الجنة في الدنيا، ورغبوا إليه بالدعاء، فأجابهم في الآخرة إلى ما سألوا وأعطاهم ما طلبوا (٤). وهذا يرجع إلى القول الأول.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَبْذُوكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَصْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ ﴿١٦﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٧﴾ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يظَلِمَ مِنْكُمْ نُدِقَهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ قرأ ابن مُحِصِن، وحميد، وابن كثير، وحفص،

(١) أخرجه الطبري ٤١٤/١٧ ، وابن أبي حاتم ٢٦٧١/٨ (١٥٠٢١) عن ابن عباس بلفظ: فاسألوا الذي وعدكم وتنجزوه.

(٢) النكت والعيون ١٣٥/٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٦٧١/٨ (١٥٠٢٢).

(٣) معاني القرآن للفراء ٢٦٣/٢ ، وتفسير الطبري ٤١٤/١٧ ، وفيهما: «لأعطينك ألفاً وعداً مسؤلاً، بمعنى أنه واجب لك فتسأله».

(٤) النكت والعيون ١٣٥/٤ .

ويعقوب، وأبو عمرو في رواية الدُّوري: «يَحْشُرُهُم» بالياء . واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لقوله في أول الكلام: ﴿كَانَ عَلَى رَيْكَ﴾، وفي آخره: ﴿أَنْتَ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هُنُوكًا﴾. الباقي بالنون على التعظيم^(١). ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الملائكة والإنس والجن والمسيح وعُزير؛ قاله مجاهد وابن جريج . الضحاك وعكرمة: الأصنام^(٢). ﴿فَيَقُولُ﴾ قراءة العامة بالياء، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم. وقرأ ابنُ عامر وأبو حيوة بالنون على التعظيم^(٣).

﴿أَنْتَ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هُنُوكًا أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ وهذا استفهام توبيخ للكفار . ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ أي: قال المعبودون من دون الله: سبحانك، أي: تنزيهاً لك ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾.

فإن قيل: فإن كانت الأصنام التي تُعبد تُحشَرُ؛ فكيف تنطق وهي جماد؟ قيل له: يُنطقها الله تعالى يوم القيامة كما يُنطق الأيدي والأرجل^(٤). وقرأ الحسنُ وأبو جعفر: «أَنْ نَتَّخِذَ» بضم النون وفتح الخاء على الفعل المجهول^(٥). وقد تكلم في هذه القراءة النحويون؛ فقال أبو عمرو بن العلاء وعيسى بنُ عمر: لا يجوز «نَتَّخِذَ».

وقال أبو عمرو: لو كانت «نَتَّخِذَ» لحذفت «مِنْ» الثانية فقلت: «أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ أَوْلِيَاءَ». كذلك^(٦) قال أبو عبيدة: لا يجوز «نَتَّخِذَ» لأنَّ الله تعالى ذَكَرَ «مِنْ»

(١) قراءة ابن كثير وحفص - بالياء - في السبعة ص ٤٦٣ ، والتيسير ص ١٦٣ ، وقراءة يعقوب في النشر ٣٣٣/٢ ، والقراءة المشهورة عن أبي عمرو البصري هي بالنون.

(٢) الوسيط ٣٣٦/٣ ، وتفسير البغوي ٣٦٣-٣٦٤/٣ ، وقول مجاهد في تفسيره ٤٨٤/٢ ، وأخرجه عنه الطبري مع قول ابن جريج في تفسيره ٤١٥/١٧ ، وابن أبي حاتم ٣٦٧٢/٨ (١٥٠٢٧) عن مجاهد . دون قوله: والإنس والجن.

(٣) السبعة ص ٤٦٣ ، والتيسير ص ١٦٣ .

(٤) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٢٠٤/٤ .

(٥) قراءة أبي جعفر في النشر ٣٣٣/٢ ، وذكرها الزجاج في معانيه ٦٠/٤ ، والنحاس في إعرابه ١٥٤/٣ ، وأبو الليث السمرقندي ٤٥٥/٣ ، وابن عطية في المحرر ٢٠٤/٤ ، وقراءة الحسن في زاد المسير ٧٨/٦ .

(٦) في (ظ) وكذا .

مرّتين، ولو كان كما قرأ لقال: «أن تُتخذ من دونك أولياء».

وقيل: إن «من» الثانية صلة.

قال النحاس^(١): ومثل أبي عمرو على جلالته ومحله يُسْتَحْسَن [منه] ما قال؛ لأنه جاء بيّنة.

وشرح ما قال أنه يقال: ما اتخذت رجلاً ولياً، فيجوز أن يقع هذا لواحد^(٢) بعينه؛ ثم يقال: ما اتخذت من رجلٍ ولياً. فيكون نفيّاً عاماً، وقولك «وليّاً» تابع لما قبله، فلا يجوز أن يدخل^(٣) فيه «من» لأنه لا فائدة في ذلك.

﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَوَأَبَاءَهُمْ﴾ أي: في الدنيا بالصحة والغنى وطول العمر بعد موت الرسل صلوات الله عليهم. ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ أي: تركوا ذكرك، فأشركوا بك بظراً وجهلاً، فعبدونا من غير أن نأمرهم^(٤) بذلك.

وفي الذكر قولان:

أحدهما: القرآن المنزّل على الرسل، تركوا العمل به، قاله ابن زيد.

الثاني: الشكر على الإحسان إليهم والإنعام عليهم.

إنهم ﴿كانوا قوماً بوراً﴾ أي: هلكى؛ قاله ابن عباس. مأخوذة من البوار وهو

الهلاك^(٥). وقال أبو الدرداء رضي الله عنه وقد أشرف على أهل حمص: يا أهل حمص! هلمّ^(٦)

إلى أخ لكم ناصح، فلما اجتمعوا حوله قال: ما لكم لا تستحيون^(٧)! تبنون ما لا

(١) في إعراب القرآن ٣/١٥٤-١٥٥، وما قبله منه عدا كلام أبي عبيدة، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٢) في (م) للواحد، وفي (ظ) الواحد. والمثبت من (ز) وإعراب القرآن للنحاس.

(٣) في (م) تدخل.

(٤) في (م) و(د): أمرناهم.

(٥) النكت والعيون ٤/١٣٦-١٣٧.

(٦) في (ز) هلموا.

(٧) في (م) تستحون.

تَسْكُنُونَ، وَتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ، وَتَأْمَلُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ، إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بَنَوْا شَدِيداً^(١)، وَجَمَعُوا عِبِيداً، وَأَمَلُوا بَعِيداً، فَأَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بُوراً، وَأَمَالَهُمْ^(٢) غُروراً، وَمَسَاكِنُهُمْ قُبُوراً^(٣). فقوله: «بُوراً» أي: هلكى.

وفي خبر آخر: فأصبحت منازلهم بوراً، أي: خالية لا شيء فيها.

وقال الحسن: «بُوراً»: لا خير فيهم. مأخوذ من بوار الأرض، وهو تعطيلها من الزرع، فلا يكون فيها خير.

وقال شهر بن حوشب: البوار: الفساد والكساد؛ مأخوذ من قولهم: بارت السلعة: إذا كسدت كساد الفاسد؛ ومنه الحديث: «نعوذ بالله من بوار الأيم»^(٤). وهو اسم مصدر كالزور؛ يستوي فيه الواحد والاثان والجمع والمذكر والمؤنث^(٥). قال ابن الزبير^(٦):

يا رسولَ الملِكِ إنَّ لسانِي راتِقٌ ما فَتَقْتُ إذ أنا بُورُ
إذ أباري الشيطانَ في سَنَنِ الغَـيِّ وَمَنْ مَالٌ مِـلَّهُ مَثْبُورُ
وقال بعضهم: الواحد: بائر، والجمع: بور^(٧). كما يقال: عائد وعوذ، وهائد

(١) في (م) مشيدا . والمثبت من (د) و(ز) و(ظ) وتاريخ مدينة دمشق .

(٢) في (ظ): ومالهم، وكذلك في شعب الإيمان.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٤٧/١٣١، وأخرجه أيضاً البيهقي في شعب الإيمان (١٠٧٣٩) و(١٠٧٤٠) وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/١٣٣، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ٦٣٥/١ أنه قال على درج مسجد دمشق: يا أهل دمشق...

(٤) النكت والعيون ٤/١٣٧، والحديث قطعة من حديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١/٣٢٣ (١١٨٨٢)، والخطيب البغدادي في تاريخه ١٢/٤٥٠ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الهيثمي في المعجم ١٠/١٤٣ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط والصغير باختصار، وفيه عباد ابن زكريا الصريمي، ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٥) تفسير البغوي ٣/٣٦٤ .

(٦) ديوانه ص ٣٦ .

(٧) الوسيط ٣/٣٣٧ .

وهود^(١). وقيل: «بُورًا»: عُمياً عن الحق.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ أي: يقول الله تعالى عند تبري المعبودين: «فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ» أي: في قولكم إنهم آلهة^(٢). ﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ يعني الآلهة صرف العذاب عنكم ولا نصركم. وقيل: فما يستطيع هؤلاء الكفار لما كذبهم المعبودون ﴿صَرَخًا﴾ للعذاب ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ من الله^(٣). وقال ابن زيد: المعنى فقد كذبكم أيها المؤمنون هؤلاء الكفار بما جاء به محمد؛ وعلى هذا فمعنى «بِمَا تَقُولُونَ»: بما تقولون من الحق^(٤). وقال أبو عبيد: المعنى: فيما تقولون^(٥)، فما يستطيعون لكم صرفاً عن الحق الذي هداكم الله إليه، ولا نصرًا لأنفسهم مما ينزل بهم من العذاب بتكذيبهم إياكم.

وقراءة العامة: «بِمَا تَقُولُونَ» بالتاء على الخطاب. وقد بيّنّا معناه.

وحكى الفراء أنه يقرأ: «فَقَدْ كَذَّبْتُمْ» مخفّفاً، «بِمَا يَقُولُونَ». وكذا قرأ مجاهد والبرزبي بالياء^(٦)، ويكون معنى «يَقُولُونَ»: بقولهم. وقرأ أبو حنيفة: «بِمَا يَقُولُونَ» بياء «فَمَا يَسْتَطِيعُونَ» بتاء على الخطاب لمتخذي الشركاء^(٧). ومن قرأ بالياء فالمعنى: فما يستطيع الشركاء.

﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مِّنْكُمْ﴾ قال ابن عباس: من يُشرك منكم ثم مات عليه^(٨) ﴿نُدِقَهُ﴾

(١) معاني القرآن للنحاس ١٤/٥، والكشاف ٨٦/٣. وفي (ز) و(ظ) عائد وعود.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٦١/٤.

(٣) الكلام بنحوه في الوسيط ٣٣٧/٣.

(٤) تفسير الطبري ٤٢٠/١٧، وأخرجه أيضاً عن ابن زيد ابن أبي حاتم ٢٦٧٣/٨ (١٥٠٤٠).

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١٥٥/٣.

(٦) ذكر كلام الفراء النحاس في معاني القرآن ١٥/٥. وقال ابن الجزري في النشر ٣٣٤/٢: نص عليها ابن مجاهد عن البرزبي سماعاً من قنبل.

(٧) ذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٠٤/٤ قراءة أبي حنيفة. وقرأ حفص: يستطيعون، بالتاء، والباقون بالياء. السبعة ص ٤٦٣، والتيسير ص ١٦٣.

(٨) أخرج نحوه عبد الرزاق ٧٢/٢، والطبري في تفسيره ٤٢٢-٤٢٣ عن الحسن.

أي: في الآخرة. ﴿عَذَابًا كَبِيرًا﴾ أي شديداً؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤] أي: شديداً.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾

فيه تسع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ نزلت جواباً للمشركين حيث قالوا: «مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ»^(١). وقال ابن عباس: لَمَّا عَيَّرَ الْمُشْرِكُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْفَاقَةِ وَقَالُوا: «مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ» الآية؛ حَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ لِذَلِكَ، فَنَزَلَتْ تَعْزِيَةً لَهُ، فَقَالَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! اللَّهُ رَبُّكَ يَقْرُتُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ أي: يَبْتَغُونَ الْمَعَاشَ^(٢) فِي الدُّنْيَا.

الثانية: قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ إذا دخلت اللام؛ لم يكن في «إِنْ» إلا الكسر، ولو لم تكن اللام ما جاز أيضاً إلا الكسر؛ لأنها مستأنفة. هذا قول جميع النحويين. قال النحاس^(٣): «إِلَّا أَنْ عَلِيَّ بْنَ سَلِيمَانَ حَكَى لَنَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: يَجُوزُ فِي «إِنْ» هَذِهِ الْفَتْحُ وَإِنْ كَانَ بَعْدَهَا اللَّامُ، وَأَحْسِبُهُ وَهَمًّا مِنْهُ. قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ^(٤): وَفِي الْكَلَامِ حَذْفٌ، وَالْمَعْنَى: وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ رِسَالًا إِلَّا إِنَّهُمْ

(١) الوجيز للواحدي ٩٥/٢.

(٢) في (ز) و(م) المعاش، والمثبت من (د) و(ظ) وأسباب النزول للواحدي ص ٣٤٥ وقد أخرجه عنه مطولاً، وسلف بعضه ص ٣٧٢-٣٧٣ من هذا الجزء.

(٣) في إعراب القرآن ٣/١٥٥-١٥٦، وما قبله منه.

(٤) الكلام بنحوه في معاني القرآن له ٦٢/٤، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن.

ليأكلون الطعام، ثم حذف رسلاً؛ لأن في قوله: «مِنَ الْمُرْسَلِينَ» ما يدلُّ عليه. فالموصوف محذوف عند الزجاج، ولا يجوز عنده حذف الموصول وتبقيَّة الصلة كما قال الفراء. قال الفراء^(١): والمحذوف «مَنْ»، والمعنى: إلا مَنْ إنهم ليأكلون الطعام، وشبَّهه بقوله: ﴿وَمَا يَمَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصفات: ١٦٤]، وقوله: ﴿وَلَنْ يَنْكُرَ إِلَّا وَارِدُهُا﴾ [مريم: ٧١] أي: ما منكم إلا مَنْ هو وارِدُها. وهذا قول الكسائي أيضاً. وتقول العرب: ما بعثت إليك من الناس إلا مَنْ إنه ليُطيعك^(٢). فقولك: إنه ليُطيعك صلة «مَنْ». قال الزجاج^(٣): هذا خطأ، لأن مَنْ موصولة، فلا يجوز حذفها.

وقال أهل المعاني: المعنى: وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا قيل: إنهم ليأكلون؛ دليله قوله تعالى: ﴿مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [فصلت: ٤٣]. وقال ابن الأنباري^(٤): كسرت «إنَّهُمْ» بعد «إلا» للاستئناف بإضمار واو، أي: إلا وإنهم.

وذهبت فرقة إلى أن قوله: «لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ» كناية عن الحدث^(٥).

قلت: وهذا بليغ في معناه، ومثله: ﴿مَا الْمَسِيحُ آتَى مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥].

﴿وَيَسْئُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ قرأ الجمهور: «يَمْشُونَ» بفتح الياء وسكون الميم وتخفيف الشين. وقرأ عليٌّ وابنُ عوفٍ وابنُ مسعودٍ بضم الياء وفتح الميم وشد الشين المفتوحة، بمعنى يُدْعَوْنَ إلى المشي ويحملون عليه. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي

(١) في معاني القرآن له ٢٦٤/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ١٥٦/٣، والرازي في تفسيره ٦٥/٢٤.

(٢) في (د) و(ظ) ليعطيك (في الموضعين).

(٣) في معاني القرآن له ٦٢/٤، ونقله عنه المصنف بواسطة النحاس في إعراب القرآن ١٥٦/٣.

(٤) ذكره عن ابن الأنباري ابنُ الجوزي في زاد المسير ٨٠/٦، والرازي في تفسيره ٦٥/٢٤، وما قبله فيه بنحوه.

(٥) المحرر الوجيز ٢٠٥/٤.

بضم الياء وفتح الميم وضم الشين المشددة، وهي بمعنى يَمْشُونَ؛ قال الشاعر:
 أَمْشِي بِأَعْطَانِ الْمِيَاهِ وَأَبْتَغِي^(١) قِلاَئِصَ مِنْهَا صَعْبَةً وَرَكُوبُ^(٢)
 وقال كعب بن زهير:
 مِنْهُ تَظَلُّ سِبَاعُ الْجَوْ ضَامِرَةٌ وَلَا تُمَشِّي بِوَادِيهِ الْأَرَاجِيلُ^(٣)
 بمعنى تَمْشِي.

الثالثة: هذه الآية أصلٌ في تناول الأسباب وطلبِ المعاشِ بالتجارة والصناعة وغير ذلك. وقد مضى هذا المعنى في غير موضع، لكننا نذكر هنا من ذلك ما يكفي، فنقول: قال لي بعض مشايخ هذا الزمان في كلام جَرَى: إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما بُعثوا لِيَسُنُوا الأسبابَ للضعفاء.

فقلت مجيباً له: هذا قولٌ لا يصدر إلا من الجهال والأغبياء، والرَّعَاعِ السفهاء، أو من طاعنٍ في الكتاب والسنة العلياء، وقد أخبر الله تعالى في كتابه عن أصفياه ورسله وأنبيائه بالأسباب والاحتراف، فقال وقوله الحق: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠]. وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا لِيَأْمُرُوا بِالطَّعَامِ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ قال العلماء: أي يَتَجَرَّون ويحترفون. وقال عليه الصلاة والسلام: «جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمُحِي»^(٤).

(١) في (م) ومَشِّي بأعطان المباءة وابتغى، ووقع في النسخ الخطية: وأتقي، بدل: وأبتغي، والمثبت من المصدرين الآتين.

(٢) المحرر الوجيز ٢٠٥/٤، ونسبه أبو علي القالي في الأمالي ٢٨/١ للعلاء بن حذيفة العنوي. قوله: قلائص: هو جمع قُلُوص، وهي من الإبل: الشائبة، أو الباقية على السير، أو أول ما يُركب من إنائها إلى أن تُثني، ثم هي ناقة، أو الناقة الطويلة القوائم. القاموس (قلص).

(٣) ديوان كعب ص ٩٠ وروايته فيه: منه تظل حمير الوحش ضامزة، وهو في السيرة النبوية ٥١٢/٢ وفيه: نافرة، بدل: ضامزة.

والضامز في اللغة: الساكت لا يتكلم، والبعير إذا لم يجتر وأغلق فمه فقد ضمز. تهذيب اللغة ٤٨٩/١١. وقوله الأراجيل: الجماعات من الرجال. الجو: موضع. الإملاء المختصر ١٣٨/٣، يصف كعباً أسداً بأن السباع والأسود والرُّجال تخافه من هيئته، ولا تمشي بالوادي الذي يوجد فيه.

(٤) سلف ١٦٠/١٠.

وقال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩].

وكان الصحابة ﷺ يتجرون ويحترفون، وفي أموالهم يعملون، ومن خالفهم من الكفار يقاتلون؛ أتراهم ضعفاء! بل هم كانوا والله الأقياء، وبهم الخلف الصالح اقتدى، وطريقهم فيه الهدى والاهتداء.

قال: إنما تناولوها لأنهم أئمة الاقتداء، فتناولوها مباشرة في حق الضعفاء، فأما في حق أنفسهم فلا؛ وبيان ذلك أصحاب الصفة.

قلت: لو كان ذلك لوجب عليهم وعلى الرسول معهم البيان؛ كما ثبت في القرآن: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَيْنَاهُمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥٩] الآية. وهذا من البيئات والهدى.

وأما أصحاب الصفة فإنهم كانوا ضيف الإسلام عند ضيق الحال، فكان عليه الصلاة والسلام إذا أتته صدقة خصهم بها، وإذا أتته هدية أكلها معهم، وكانوا مع هذا يحتطبون ويسوقون الماء إلى أبيات رسول الله ﷺ. كذا وصفهم البخاري^(١) وغيره. ثم لما افتتح الله عليهم البلاد ومهد لهم المهاد تأمروا، وبالأسباب أمروا.

ثم إن هذا القول يدل على ضعف النبي ﷺ وأصحابه؛ لأنهم أيدوا بالملائكة وثبتوا بهم، فلو كانوا أقياء ما احتاجوا إلى تأييد الملائكة وتأيدهم^(٢) إذ ذلك سبب من أسباب النصر؛ نعوذ بالله من قول وإطلاق يؤول إلى هذا، بل القول بالأسباب والوسائط سنة الله وسنة رسوله ﷺ، وهو الحق المبين، والطريق المستقيم الذي انعقد عليه إجماع المسلمين؛ وإلا كان يكون قوله الحق: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠] الآية؛ مقصوراً على الضعفاء، وجميع الخطابات كذلك. وفي التنزيل حيث خاطب موسى الكليم: ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ [الشعراء: ٦٣] وقد كان قادراً على فلق البحر دون ضرب عصا. وكذلك مريم عليها السلام: ﴿وَهَزَيْتَ

(١) في صحيحه برقم (٦٤٥٢)، وسلف ١٠/١٦٠.

(٢) في (د) و(ظ) و(ف): تبييتهم.

إِلَيْكَ يَجْمَعُ الْتَخْلُفَ ﴿[مریم: ٢٥]، وقد كان قادراً على سقوط الرُّطْبِ دون هَزٍّ ولا تعب؛ ومع هذا كلُّه فلا ننكر أن يكون رجل يُلَطَّفُ به ويُعان، أو تجاب دعوته، أو يُكرم بكرامةٍ في خاصة نفسه أو لأجل غيره، ولا تهتدُ لذلك القواعدُ الكلية والأُمُورُ الجمالية. هيهات هيهات! لا يقال فقد قال الله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] فإننا نقول: صَدَقَ اللهُ العَظِيمُ، وصدَّقَ رسوله الكريم، وإن الرزقُ هنا المطرُ بإجماعِ أهل التأويل؛ بدليل؛ قوله تعالى: ﴿وَيُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣] وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَبْتًا وَحَبَّ الْعَصِيدِ﴾ [ق: ٩]، ولم يشاهد ينزل من السماء على الخلق أطباق الخبز ولا جِفان اللحم، بل الأسبابُ أصلٌ في وجود ذلك؛ وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «اطلبوا الرزق في خبايا الأرض»^(١)، أي: بالحرث والحفر والغرس. وقد يسمى الشيء بما يؤول إليه، فسمي^(٢) المطرُ رزقاً؛ لأنه عنه يكون الرزق، وذلك مشهورٌ في كلام العرب. وقال عليه الصلاة والسلام: «لأن يأخذ أحدكم حَبْلَهُ، فَيَحْتَطِبَ على ظهري؛ خيرٌ له من أن يسأل أحداً أعطاه أو منعه»^(٣)، وهذا فيما خرج بغير^(٤) تعبٍ من الحشيش والحطب. ولو قُدِّرَ رَجُلٌ بالجبال منقطعاً عن الناس لَمَا كان^(٥) له بُدٌّ من الخروج إلى ما تُخرجه الآكامُ وظهورُ الأعلام حتى يتناول من ذلك ما يعيش به، وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «لو أنكم كُنتم تؤكّلون على الله حقَّ توكله، لَرزقتم كما تُرزق الطيرُ، تغدو خِماصاً وتروح بطاناً»^(٦).

فغدوها ورواحها سببٌ؛ فالعجبُ العجب ممن يدعي التجريدَ والتوكلَ على

(١) ضعيف، وسلف ٣٢٢/٤ من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) في (م) وسمي .

(٣) سلف ٣٤٦/١ من حديث أبي هريرة ؓ .

(٤) في (د) و(م) من غير .

(٥) في النسخ الخطية: لكان والمثبت من (م) .

(٦) سلف ٢٩٧/٧ و ١٥٨-١٥٩/١٠ .

التحقيق، ويقعدُ على ثِيَّاتِ الطريق، وَيَدْعُ الطريقَ المستقيم، والمنهَجَ الواضحَ القويم.

ثَبَّتَ فِي الْبُخَارِيِّ^(١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَحْجُونَ وَلَا يَتَزَوَّدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ الْمَتَوَكِّلُونَ، فَإِذَا قَدِمُوا [مَكَّةَ] سَأَلُوا النَّاسَ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾. وَلَمْ يُنْقَلْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ - رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - أَنَّهُمْ خَرَجُوا إِلَى أَسْفَارِهِمْ بِغَيْرِ زَادٍ، وَكَانُوا الْمَتَوَكِّلِينَ حَقًّا.

والتوكل: اعتمادُ القلبِ على الرَّبِّ في أن يَلْمَ شَعْنَهُ وَيَجْمَعَ عَلَيْهِ أَرْبَهُ؛ ثُمَّ يَتَاوَلُ الْأَسْبَابَ بِمَجْرَدِ الْأَمْرِ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ.

سَأَلَ رَجُلٌ الْإِمَامَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ الْحَجَّ عَلَى قَدَمِ التَّوَكُّلِ. فَقَالَ: أَخْرَجْ وَحَدِّكَ، فَقَالَ: لَا، إِلَّا مَعَ النَّاسِ. فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ إِذْنٌ مَتَّكِلٌ عَلَى أَجْرِبَتِهِمْ^(٢). وَقَدْ أَتَيْنَا عَلَى هَذَا فِي كِتَابِ «قَمْعِ الْحَرَصِ بِالزَّهْدِ وَالْقِنَاعَةِ»، وَرَدُّ ذُلِّ السُّؤَالِ^(٣) بِالْكَسْبِ وَالصَّنَاعَةِ^(٤).

الرَّابِعَةُ: خَرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا»^(٥).

وخرَجَ الْبِرَّازُ^(٦) عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَكُونَنَّ - إِنْ اسْتَطَعْتَ - أَوْلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا

(١) فِي صَحِيحِهِ (١٥٢٣) وَمَا بَيْنَ مَعْقُوفَيْنِ مِنْهُ، وَسَلَفُ ٣/٣٢٨.

(٢) ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي تَلْبِيسِ إِبْلِيسِ ص ١٤١ وَ ٢٧٤-٢٧٥، وَسَلَفُ ٣/٣٢٩. وَقَوْلُهُ: أَجْرِبَتِهِمْ - الْجَرَابُ: الْمَزُودُ أَوْ الْوَعَاءُ، وَيَجْمَعُ أَيْضًا عَلَى جُرْبٍ، الْقَامُوسُ «جَرِبَ».

(٣) فِي (د) النَّاسِ.

(٤) فِي (د) وَ(ظ) وَ(ف) بِالْكَتْبِ وَالشَّفَاعَةِ وَفِي (ز) بِالْكَسْبِ وَالشَّفَاعَةِ. وَجَاءَ فِي ذَيْلِ كَشْفِ الظَّنُونِ ٢٤١/٤ بِالْكَفِّ وَالشَّفَاعَةِ، وَقَالَ: إِنْ الْقَرَطِيُّ: رَتَبَهُ عَلَى أَرْبَعِينَ بَابًا فِي التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ.

(٥) صَحِيحُ مُسْلِمٍ بِرَقْمِ (٦٧١).

(٦) فِي مُسْنَدِهِ (٢٥٤١)، وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا مُسْلِمٌ (٢٤٥١).

يَنْصَبُ رايته». أخرجه أبو بكر البرقاني مسنداً عن أبي محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ - من رواية عاصم - عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكن أولَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ وَلَا آخَرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَبِهَا بَاضَ الشَّيْطَانُ وَفَرَّخَ»^(١).

ففي هذه الأحاديث ما يدلُّ على كراهة دخول الأسواق، ولا سيما في هذه الأزمان التي يُخالط فيها الرجال النسوان^(٢). وهكذا قال علماءنا لِمَا كَثُرَ الباطلُ في الأسواق وظَهَرَت فيها المناكرُ: كُره دخولُها لأرباب الفضلِ والمقتدى بهم في الدين؛ تنزيهاً لهم عن البقاع التي يُعصى الله فيها^(٣). فحق على من ابتلاه الله بالسوق أن يخطر بباله أنه قد دَخَلَ محلَّ الشيطان ومحلَّ جنوده، وأنه إن أقام هناك هلك، ومن كانت هذه حاله اقتصر منه على قدر ضرورته، وتحرَّز من سوء عاقبته وبليته^(٤).

الخامسة: تشبيه النبي ﷺ السوق بالمعركة تشبیه حسن، وذلك أن المعركة موضع القتال، سمي بذلك لتعارك الأبطال فيه، ومُصارعة بعضهم بعضاً. فشبَّه السوق وفعل الشيطان بها ونيله منهم - بما^(٥) يحملهم [عليه] من المكر والخديعة، والتساهل في البيوع الفاسدة، والكذب والأيمان الكاذبة، واختلاط الأصوات وغير ذلك - بمعركة الحرب، ومن^(٦) يصرع فيها.

السادسة: قال ابنُ العربي^(٧): «أما أكلُ الطعام فضرورة الخلق، لا عارَ ولا دَرَكَ فيه^(٨)، وأما الأسواق فسمعت مشيخة أهل العلم يقولون: لا يَدْخُلُ إلا سوق الكتب

(١) ٣٠١/١٣.

(٢) جاءت العبارة في (ظ) : .. تخالط فيها الرجال والنسوان .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٤٠٢ .

(٤) المفهم ٦/٣٥٩ .

(٥) في (م) : مما والمثبت من (د) و(ظ) و(ف) والمفهم ٦/٣٥٨-٣٥٩ ، والكلام وما بين حاصرتين منه .

(٦) في (ظ) : فيمن .

(٧) في أحكام القرآن ٣/١٤٠٣ .

(٨) أي: لا تبعه فيه .

والسلاح. وعندي أنه يدخل كل سوقٍ للحاجة إليه ولا يأكل فيها؛ لأن ذلك إسقاطٌ للمروءة، وهدمٌ للحشمة؛ ومن الأحاديث الموضوعة: «الأكل في السوق دناءة»^(١).

قلت: ما ذكّرتَه مشيخةُ أهل العلم فنعمًا هو، فإنّ ذلك خالٍ عن النظر إلى النسوان ومخالطتهنّ، إذ ليس ذلك^(٢) من حاجتهنّ. وأما غيرهما من الأسواق فمشحونة منهنّ، وقلةُ الحياءِ قد غلبت عليهنّ، حتى ترى المرأةَ في القيساريات^(٣) وغيرهن قاعدةً متبرجة بزبيّتها، وهذا من المنكر الفاشي في زماننا هذا، نعوذُ بالله من سخطه.

السابعة: خرّج أبو داود الطيالسي في مسنده^(٤): حدّثنا حماد بنُ زيد قال: حدّثنا عمرو بن دينار - قهرمان^(٥) آل الزبير - عن سالم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب قال: «من دخل سوقاً من هذه الأسواق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيءٍ قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، وبنى له قصرًا في الجنة». خرّجه الترمذيُّ أيضاً وزاد بعد «ومحا عنه ألف ألف سيئة»: «ورفع له ألف ألف درجة». في رواية^(٦): «وبنى له بيتاً في الجنة». وقال: هذا حديثٌ غريب^(٧). قال

(١) أخرجه عبد بن حميد (١٤٤٤)، وابن عدي في الكامل ٦/٢١٥٠، والخطيب البغدادي في تاريخه ٣/١٦٣ و ٧/٢٨٣، وابن الجوزي في الموضوعات ٢/٢٣٥ من حديث أبي هريرة ؓ.

وأخرجه أيضاً الطبراني في المعجم الكبير ٨/٢٤٩ (٧٩٧٧)، وابن عدي في الكامل ٥/١٦٧٠، والعقيلي في الضعفاء ٣/١٩٢، وابن الجوزي في الموضوعات ٢/٢٣٦ من حديث أبي أمامة ؓ.

قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وقال العقيلي: ولا يثبت في هذا الحديث شيء عن النبي ﷺ.

(٢) في (م) بذلك.

(٣) جمع قيسارية، وهي الخان الكبير الذي يشغله التجار والمسافرون، وقد يشتمل على سوق مسقوفة. معجم المصطلحات والألقاب التاريخية: ٣٥٧.

(٤) ص ٤.

(٥) هو كالحازن والوكيل والحافظ لما تحت يده والقائم بأمر الرجل، بلغة الفرس. النهاية (قهرم).

(٦) عبارة: في رواية، من (د) و(ظ).

(٧) سنن الترمذي (٣٤٢٨) و(٣٤٢٩)، قال الترمذي: وعمرو بن دينار هذا هو شيخ بصري، وقد تكلم فيه بعض أصحاب الحديث من غير هذا الوجه.

ابن العربي^(١): وهذا إذا لم يقصد في البقعة سواه^(٢) ليعمرها بالطاعة إذ عُمرت بالمعصية وليحلَّيها بالذكر إذ عُطلت بالغفلة، وليعلِّم الجهلة ويذكر الناسين.

الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ﴾ أي: إن الدنيا دارُ بلاء وامتحان، فأراد سبحانه أن يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس مؤمن وكافر، فالصحيح فتنة للمريض، والغني فتنة للفقير، والفقير الصابر فتنة للغني^(٣). ومعنى هذا أن كل واحد مختبرٌ بصاحبه، فالغني ممتحن بالفقير، عليه أن يواسيه ولا يسخر منه. والفقير ممتحن بالغني، عليه ألا يحسده ولا يأخذ منه إلا ما أعطاه، وأن يصبر كل واحد منهما على الحق؛ كما قال الضحاك في معنى «أَتَصْبِرُونَ» أي: على الحق^(٤).

وأصحابُ البلايا يقولون: لِمَ لم تُعاف؟ والأعمى يقول: لِمَ لم أُجعل كالبصير؟ وهكذا صاحب كل آفة^(٥).

والرسولُ المخصوصُ بكرامة النبوة فتنة لأشرف الناس من الكفار في عصره، وكذلك العلماء وحكام العدل^(٦). ألا ترى إلى قولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

فالتفتة أن يحسد المبتلى المعافى، ويحقّر المعافى المبتلى. والصبر أن يحبس كلاهما نفسه، هذا عن البطر، وذاك عن الضجر.

«أَتَصْبِرُونَ» محذوف الجواب، يعني أم لا تصبرون. فيقتضي جواباً كما قاله

(١) في أحكام القرآن ٣/١٤٠٣ .

(٢) أي سوى الله سبحانه وتعالى .

(٣) المحرر الوجيز ٤/٢٠٥ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/١٥٦ .

(٥) أخرج نحواً من هذا الكلام الطبري في تفسيره ١٧/٤٢٤ ، وابن أبي حاتم ٨/٢٦٧٥ (١٥٠٤٧) ،

والبيهقي في الشعب (١٠٠٧٢) عن الحسن .

(٦) المحرر الوجيز ٤/٢٠٥ .

المزني وقد أخرجته الفاقة، فرأى خصباً في مراكب ومناكب، فحَظَرَ بياله شيء فسمع من يقرأ الآية: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ فقال: بلى ربنا! نصبرُ ونَحْتَسِبُ^(١).

وقد تلا ابنُ القاسم صاحبُ مالك هذه الآية حين رأى أشهبَ بن عبد العزيز في مملكته عابراً عليه، ثم أجاب نفسه بقوله: سَتَصْبِرُ^(٢).

وعن أبي الدرداء أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ويلٌ للعالم من الجاهل، وويلٌ للجاهل من العالم، وويلٌ للمالك من المملوك، وويلٌ للمملوك من المالك، وويلٌ للشديد من الضعيف، وويلٌ للضعيف من الشديد، وويلٌ للسلطان من الرعية، وويلٌ للرعية من السلطان، وبعضهم لبعض فتنة، وهو قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾» أسنده الثعلبي تغمده الله برحمته^(٣).

وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل بن هشام، والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل، وعقبة بن أبي معيط، وعُتْبة بن ربيعة، والنضر بن الحارث حين رأوا أبا ذرٍّ وعبد الله ابن مسعود، وعماراً وبلالاً وصُهيباً وعامر بن فهيرة، وسالماً مولى أبي حذيفة ومهجعاً مولى عمر بن الخطاب وجبراً مولى الحضرمي، وذويهم، فقالوا على سبيل الاستهزاء: أنسلم فنكون مثل هؤلاء؟ فأنزل الله تعالى يخاطب هؤلاء المؤمنين: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ على ما ترون من هذه الحال الشديدة والفقر^(٤)، فالتوقيف بـ«أَتَصْبِرُونَ» خاص للمؤمنين المحققين من أمة محمد ﷺ. كأنه جعل إمهال الكفار والتوسعة عليهم فتنة للمؤمنين، أي: اختباراً لهم^(٥). ولما صبر المسلمون أنزل الله فيهم: ﴿إِنِّي

(١) ذكر الخطابي في كتاب العزلة ص ١٠٥-١٠٦ نحو هذه القصة عن المزني، وفيها أن ابن عبد الحكم أقبل في موكبه، فبهره ما رأى.. فتلا قوله عز وجل: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾...

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٠٥/٤ دون قوله: في مملكته عابراً عليه.

(٣) أخرجه البزار (٣٤٤٢ كشف)، وأبو يعلى في مسنده (٤٠٠٩)، وأبو نعيم في الحلية ٥/٥٥ من رواية الأعمش عن أنس ؓ. والأعمش لم يرو عن الصحابة، ينظر جامع التحصيل ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٤) تفسير البغوي ٣/٣٦٥، وذكر سبب النزول أيضاً الماوردي في النكت والعيون ٤/١٣٨، والزمخشري في الكشاف ٣/٨٧.

(٥) المحرر الوجيز ٤/٢٠٥.

جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا ﴿١١١﴾ [المؤمنون: ١١١].

التاسعة: قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ أي: بكل امرئ وبمن يصبر أو يجزع^(١)، وبمن يؤمن ومن لا يؤمن، وبمن أدى ما عليه من الحق ومن لا يؤدي^(٢).
وقيل: «أَتَصْبِرُونَ» أي: اصبروا^(٣). مثل: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] أي: انتهوا، فهو أمرٌ للنبي ﷺ بالصبر.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ﴿١١٢﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا ﴿١١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ يريد: لا يخافون البعث^(٤) ولقاء الله، أي: لا يؤمنون بذلك.

قال:

إذا لَسَعَتْهُ النحلُ لم يَرْجُ لَسَعَهَا

وخالَفَهَا في بيت نُوبٍ عَواِمِلٍ^(٥)

وقيل: «لا يَرْجُونَ»: لا يُبَالُونَ. قال:

لعمرك ما أرجو إذا كنتُ مُسْلِماً

على أيِّ جَنبٍ كان في الله مَضْرَعِي^(٦)

ابن شجرة: لا يأملون؛ قال:

أترجو أُمَّةً قتلتُ حُسَيْناً

شفاةً جدّه يومَ الحسابِ^(٧)

(١) تفسير البغوي ٣/٣٦٥.

(٢) الكلام بنحوه في تفسير الطبري ١٧/٤٢٥.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/٤٥٦.

(٤) الوجيز للواحد ٢/٩٥.

(٥) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، وسلف ٣/٤٣٣.

(٦) قائله خبيب بن عدي ؓ، وهو في السيرة النبوية ٣/١٧٦ وسلف بنحوه ١٣/٣٤٤.

(٧) البيت أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣/١٢٣ (٢٨٧٣)، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق =

﴿أَوَّلًا أُنزِلَ﴾ أي: هلاً أنزل. ﴿عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ فيخبروا أن محمداً صادق. ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ عياناً فيخبرنا برسالته^(١). نظيره قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٢]. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ حيث سألوا الله الشُّطَطَ؛ لأنَّ الملائكة لا ترى إلا عند الموت، أو عند نزول العذاب، والله تعالى لا تُدرکه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، فلا عينُ تراه. وقال مقاتل: «عُتُوًّا» علواً في الأرض. والعتوُّ: أشدُّ الكفر وأفحش الظلم^(٢). وإذا^(٣) لم يكتفوا بالمعجزات وهذا القرآن، فكيف يكتفون بالملائكة؟ وهم لا يميزون بينهم وبين الشياطين، ولا بدَّ لهم من معجزة يُقيمها من يدعي أنه ملك، وليس للقوم طلبُ معجزة بعد أن شاهدوا معجزة، وأن ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ يريد أن الملائكة لا يراها أحدٌ إلا عند الموت^(٤): فتبشر المؤمنين بالجنة، وتضرب المشركين والكفار بمقامع الحديد حتى تخرج أنفسهم. ﴿وَيَقُولُونَ حَبْرًا مَّحْجُورًا﴾ يُريد تقول الملائكة: حراماً محرماً أن يدخل الجنة إلا من قال: لا إله إلا الله، وأقام شرائعها، عن ابن عباس وغيره^(٥).

وقيل: إن ذلك يوم القيامة، قاله مجاهد^(٦) وعطية العوفي. قال عطية: إذا كان

= ٢٤٣/١٤ ، والمزي في تهذيب الكمال ٢/١٩٤-١٩٥ ، وفي إسناده ابن لهيعة عن أبي قبيل وابن لهيعة صدوق خلط بعد احتراق كتبه، وأبو قبيل صدوق بهم. كما في تقريب التهذيب.

وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب على هامش الإصابة ٣/١١٨ قائلاً: وهذا البيت زعموا قديماً ولا يدرى قائله، وذكره برهان الدين اللوطاوي في غرر الخصائص ص ٣٣٨ ، والهيتمي في المجمع ٩/١٩٩ وقال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه.

والآيات الثلاثة في النكت والعيون ٤/١٣٩ .

(١) الوجيز للواحد ٢/٩٥ .

(٢) تفسير البغوي ٣/٣٦٥ .

(٣) في (ظ) و(ف) وإذ .

(٤) النكت والعيون ٤/١٤٠ .

(٥) ذكره عنه الواحد في الوسيط ٣/٣٣٨ ، والبغوي في تفسيره ٣/٣٦٥ .

(٦) تفسيره ٢/٤٤٩ .

يوم القيامة تلقى المؤمن بالبشرى، فإذا رأى ذلك الكافر تمناه، فلم يره من الملائكة^(١).

وانتصب «يَوْمَ يَرَوْنَ» بتقدير: لا بشرى للمجرمين يومَ يَرَوْنَ الملائكة. «يَوْمَئِذٍ» تأكيد لـ «يَوْمَ يَرَوْنَ»^(٢). قال النحاس^(٣): لا يجوز أن يكون «يَوْمَ يَرَوْنَ» منصوباً بـ «بُشْرَى» لأنَّ ما في خبر^(٤) النفي لا يعمل فيما قبله، ولكن فيه تقدير أن يكون المعنى: يُمنعون البشارة يومَ يرون الملائكة؛ ودلَّ على هذا الحذف ما بعده.

ويجوز أن يكون التقدير: لا بشرى تكون «يومَ يرون الملائكة» و«يَوْمَئِذٍ» مؤكِّد. ويجوز أن يكون المعنى: اذكر يومَ يرون الملائكة، ثم ابتداءً فقال: «لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا» أي: وتقول الملائكة: حَرَامًا مُحَرَّمًا أن تكون لهم البشرى إلا للمؤمنين. قال الشاعر:

أَلَا أَضْبَحَتْ أَسْمَاءُ حِجْرًا مُحَرَّمًا وَأَضْبَحْتُ مِنْ أَدْنَى حُمُوتِهَا حَمًا
أَرَادَ: أَلَا أَصْبَحَتْ أَسْمَاءُ حَرَامًا مُحَرَّمًا^(٥).

وقال آخر:

حَنَّتْ إِلَى النَّخْلَةِ الْقُضْوَى فَقَلَّتْ لَهَا حِجْرٌ حَرَامٌ أَلَا تِلْكَ الدَّهَارِيسُ^(٦)

(١) النكت والعيون ٤/١٤٠.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/٦٣.

(٣) في إعراب القرآن ٣/١٥٦.

(٤) في (د) و(م) حيز ... والمثبت من (ز) و(ظ) و(ف) وإعراب القرآن.

(٥) الوقف والابتداء لابن الأنباري ٢/٨٠٣-٨٠٤، وقائل البيت عبد الله بن عجلان كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/٧١٦، وعيون الأخبار ٤/١٣١، والأغاني للأصبهاني ٢٢/٢٤٢ بلفظ: ألا إن هنداً أصبحت منك محرماً...، وذكر البيت ابن منظور في اللسان (حمو) دون نسبة.

(٦) البيت للمتلمس بن جرير، ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/٧٣، والمبرد في الفاضل ص ٧٨، والطبري في تفسيره ١٧/٤٢٧، والماوردي في النكت والعيون ٤/١٤١-١٤٢، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٢٠٦، وابن السجري في المختارات ١/٣٢، واللسان (دهرس)، ولفظه عند المبرد وابن السجري: بسل .. بدل حجر، وقوله: الدهاريس، أي: الدواهي.

وروي عن الحسن أنه قال: «وَيَقُولُونَ حِجْرًا» وقف من قول المجرمين، فقال الله عز وجل: «مَحْجُورًا» عليهم أن يُعَاذُوا أو يُجَارُوا؛ فحجر الله ذلك عليهم يوم القيامة. والأول قول ابن عباس. وبه قال الفراء؛ قاله ابن الأنباري^(١).

وقرأ الحسن وأبورجاء: «حُجْرًا» بضم الحاء، والناس على كسرهما^(٢).

وقيل: إن ذلك من قول الكفار؛ قالوه لأنفسهم؛ قاله قتادة فيما ذكر الماوردي^(٣).

وقيل: هو من قول الكفار للملائكة^(٤).

وهي كلمة استعادة، وكانت معروفة في الجاهلية؛ فكان إذا لقي الرجل من يخافه قال: حجراً محجوراً، أي: حراماً عليك التعرض لي^(٥).

وانتصابه على معنى: حَجَرْتُ عَلَيْكَ؛ أو حَجَرَ اللَّهُ عَلَيْكَ؛ كما تقول: سَقِيًا ورعيًا^(٦). أي إن المجرمين إذا رأوا الملائكة يُلْقُونَهُمْ فِي النَّارِ قالوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكُمْ؛ ذكره القشيري، وحكى معناه المهدي عن مجاهد^(٧).

وقيل: «حِجْرًا» من قول المجرمين. «مَحْجُورًا» من قول الملائكة، أي: قالوا للملائكة: نعوذ بالله منكم أن تتعرضوا لنا. فتقول الملائكة: «مَحْجُورًا» أن تُعَاذُوا مِنْ شَرِّ هَذَا الْيَوْمِ؛ قاله الحسن^(٨).

- (١) في بيان الوقف والابتداء ٨٠٤/٢، وبنحوه في المكتفى للداني ص ٤١٦.
- (٢) المحرر الوجيز ٢٠٦/٤، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٠٤ عن الحسن والضحاك.
- (٣) في النكت والعيون ١٤١/٤.
- (٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٤٢٩/١٧-٤٣٠ عن ابن جريج.
- (٥) أخرجه بنحوه عبد الرزاق ٦٧/٢، والطبري في تفسيره ٤٢٨/١٧، وابن أبي حاتم ٢٦٧٨/٨ (١٥٠٦٤) عن الحسن وقاتدة.
- (٦) ينظر الكتاب ٣٢٥/١، والكشاف ٨٨/٣.
- (٧) ذكره البغوي في تفسيره ٣٦٥/٣ بنحوه.
- (٨) المحرر الوجيز ٢٠٦/٤، وتفسير الرازي ٧١/٢٤.

قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ هذا تنبيه على عظيم قدر يوم القيامة،
أي: قصدنا في ذلك إلى ما كان يعمله المجرمون من عملٍ برُّ عند أنفسهم. يقال: قَدِمَ
فلانٌ إلى أمر كذا، أي: قصده. وقال مجاهد: «قَدِمْنَا» أي: عَمَدْنَا^(١). وقال الراجز:
وَقَدِمَ الْخَوَارِجُ الضُّلَّالُ إِلَىٰ عِبَادِ رَبِّهِمْ فَقَالُوا
إِنْ دِمَاءَكُمْ لَنَا حَالُلٌ^(٢)

وقيل: هو قدوم الملائكة^(٣)، أخبر به عن نفسه تعالى فاعله.

﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ أي: لا يُنْتَفَعُ به، أي: أبطلناه بالكفر. وليس «هباء» من
ذوات الهمز وإنما هُمِزَت لِالتقاء الساكنين. والتصغير: هُبَيْ في موضع الرفع، ومن
النحويين مَنْ يقول: هُبَيْ في موضع الرفع؛ حكاها النحاس^(٤). وواحد هباءة والجمع
أهباء. قال الحارث بن جِلْزَة يصف [ناقة]:

فَتَرَىٰ خَلْفَهَا مِنَ الرَّجْعِ وَالْوَفِّ عِ مَنِينًا كَأَنَّهُ أَهْبَاءُ^(٥)
وروى الحارث عن عليّ قال: الهباء المنثور: شعاع الشمس الذي يدخل من
الكوة^(٦).

(١) تفسير مجاهد ٤٤٩/٢، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره ٤٣١/١٧، وابن أبي حاتم ٢٦٧٨/٨ (١٥٠٦٥).

(٢) الرجز في مجاز القرآن ٧٤/٢، وتفسير الطبري ٤٣٠/١٧، والنكت والعيون ١٤١/٤، والمحرر
الوجيز ٢٠٦/٤، ومجمع البيان للطبرسي ١٠٠/١٩ دون نسبة.

(٣) المحرر الوجيز ٢٠٦/٤.

(٤) في إعراب القرآن ١٥٧/٣.

(٥) شرح المعلقات العشر للنحاس ص ٥٧، وقال في شرحه: «الرَّجْع»: رجع قوائمه. «الوقع»: وقع
خفافها. «المنين»: الغبار الضعيف كأنه الذي ذهب مُتَّه، أي: قوته.

(٦) ذكره عنه أبو الليث السمرقندي ٤٥٧/٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٨٣/٦، وأخرجه ابن أبي
حاتم ٢٦٧٩/٨ (١٥٠٧١).

وقال الأزهري^(١): الهَبَاءُ: ما يَخْرُجُ مِنَ الكُوَّةِ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ؛ شَبِيهٌ بِالغَبَارِ. تَأْوِيلُهُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحْبَبَ أَعْمَالَهُمْ حَتَّى صَارَتْ بِمَنْزِلَةِ الهَبَاءِ الْمُنْتَوِرِ. فَأَمَّا الهَبَاءُ الْمُنْبَثُ فَهُوَ مَا تُثِيرُهُ الخَيْلُ بِسِنَابِكِهَا مِنَ الغَبَارِ. وَالْمُنْبَثُ: الْمَتَفَرِّقُ. وَقَالَ ابْنُ عَرَفَةَ: الهَبْوَةُ وَالهِبَاءُ: التَّرَابُ الدَّقِيقُ. الْجَوْهَرِيُّ^(٢): وَيُقَالُ لَهُ إِذَا ارْتَفَعَ هَبًا يَهْبُو هُبُوءًا، وَأَهْبَيْتُهُ أَنَا. وَالْهَبْوَةُ: الْعَبْرَةُ. قَالَ رُوَيْبَةُ:

تَبَدُّو لَنَا أَعْلَامُهُ بَعْدَ الْغَرَقِ فِي قِطْعِ الآلِ وَهَبْوَاتِ الدُّقِّ^(٣)
وموضعُ هَابِي التَّرَابِ، أَي: كَأَنَّ تَرَابَهُ مِثْلَ الهَبَاءِ فِي الرَّقَّةِ.

وقيل: إِنَّهُ مَا ذَرَّتَهُ الرِّيحُ مِنْ يَابِسِ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ؛ قَالَهُ قَتَادَةُ وَابْنُ عَبَّاسٍ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا: إِنَّهُ الْمَاءُ الْمُهْرَاقُ. وَقِيلَ: إِنَّهُ الرَّمَادُ؛ قَالَهُ عُبَيْدُ بْنُ يَعْلَى^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾

تَقْدِمُ الْقَوْلَ فِيهِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الفرقان: ١٥]. قَالَ النُّحَاسُ^(٥): وَالْكَوْفِيُّونَ يُجِيزُونَ: «العسل أحلى من الخل» وهذا قولٌ مردودٌ؛ لِأَنَّ مَعْنَى «فُلَانٌ خَيْرٌ مِنْ فُلَانٍ» أَنَّهُ أَكْثَرُ خَيْرًا مِنْهُ، وَلَا حِلَاوَةَ فِي الخَلِّ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ^(٦): النُّصْرَانِيُّ خَيْرٌ مِنَ الْيَهُودِيِّ؛ لِأَنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهِمَا فَيَكُونُ أَحَدُهُمَا أَرِيدَ فِي الخَيْرِ [مِنَ الْآخِرِ]. وَلَكِنْ يَقَالُ: الْيَهُودِيُّ شَرٌّ مِنَ النُّصْرَانِيِّ؛ فَعَلَى هَذَا كَلَامُ الْعَرَبِ.

(١) فِي تَهْذِيبِ اللُّغَةِ ٦/٤٥٤-٤٥٥ بِنَحْوِهِ.

(٢) فِي الصَّحَاحِ (هَبَو).

(٣) دِيوَانَ رُوَيْبَةَ ص ١٠٤ وَالذُّقُّ: جَمْعُ دُقَّةٍ، وَهُوَ التَّرَابُ اللَّيِّنُ الَّذِي كَسَخَتْهُ الرِّيحُ مِنَ الْأَرْضِ. الصَّحَاحُ (دَقَق).

(٤) النُّكْتُ وَالْعَيُونُ ٤/١٤١. وَأَخْرَجَ قَوْلَ قَتَادَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ١٧/٤٣٣.

(٥) فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ ٣/١٥٤. وَمَا سِيرِدُ بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِنْهُ.

(٦) فِي (م) وَالنُّسْخِ عَدَا (د) يَقَالُ. وَالْمُنْبَثُ مِنْ (د) وَإِعْرَابِ الْقُرْآنِ.

و«مُسْتَقَرًّا» نصب على الظرف إذا قَدَّر على غير باب «أفعل منك» والمعنى: لهم خير في مستقر. وإذا كان من باب «أفعل منك» فانتصابه على البيان؛ قاله النحاس^(١) والمهدوي.

قال قتادة: «وَأَحْسَنُ مَقِيلًا»: منزلاً وماوَى^(٢).

وقيل: هو على ما تعرفه العرب من مقيل نصف النهار^(٣). ومنه الحديث المرفوع: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَفْرَغُ مِنْ حَسَابِ الْخَلْقِ فِي مِقْدَارِ نِصْفِ يَوْمٍ، فَيَقِيلُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ» ذكره المهدوي^(٤).

وقال ابن مسعود: لا يَنْتَصِفُ النَّهَارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَهَارِ الدُّنْيَا حَتَّى يَقِيلَ هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ، ثُمَّ قَرَأَ: «ثُمَّ إِنَّ مَقِيلَهُمْ لِأَلَى الْجَحِيمِ» كَذَا هِيَ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ^(٥). وقال ابن عباس: الحساب من ذلك اليوم في أوله، فلا يَنْتَصِفُ النَّهَارُ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقِيلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ^(٦).

ومنه ما روي: «قِيلُوا فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَقِيلُ»^(٧) وذكر قاسم بن أصبغ، من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»

(١) في إعراب القرآن ١٥٧/٣.

(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم ٢٦٨١/٨ (١٥٠٨٤).

(٣) زاد المسير ٨٤/٦.

(٤) وأخرجه ابن المبارك في الزهد (١٣١٤)، والطبري في تفسيره ٤٣٤/١٧، وأبو نعيم في الحلية ٢٣٢/٤ عن الأعمش، عن إبراهيم النخعي قوله، ولفظه كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس...

(٥) أخرجه عنه في الزهد (١٣١٣)، والطبري في تفسيره ٤٣٥/١٧، وابن أبي حاتم ٢٦٨٠/٨ (١٥٠٧٩)، والحاكم في المستدرک ٤٠٢/٢.

(٦) ذكره أبو الليث السمرقندي ٤٥٨/٣، والواحدي في الوسيط ٣٣٨/٣، وأخرجه عنه بنحوه الطبري في تفسيره ٤٣٥/١٧.

(٧) أخرجه الأصبهاني في أخبار أصبهان ٣٥٣/١، والطبراني في الأوسط (٢٨) من حديث أنس ؓ وذكره ابن حبان في المجروحين ١٦٨/٢ في ترجمة عباد بن منصور الناجي، والهيثمي في المجمع ١١٢/٨، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه كثير بن مروان وهو كذاب.

قلت: ما أطول هذا اليوم. فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إنه لَيُخَفَّفُ عن المؤمن حتى يكون أخفَّ عليه من صلاة المكتوبة يُصَلِّيها في الدنيا»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالسَّمَنِ وَزُلَّ الْمَلَكُ تَزِيلًا ﴿١٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالسَّمَنِ﴾ أي: واذكر يومَ تشقق السماء بالغمام. وقرأه عاصم والأعمش ويحيى وحمزة والكسائي وأبو عمرو: «تَشَقُّ»^(٢) بتخفيف الشين، وأصله تَشَقَّقُ بتائين، فحذفوا الأولى تخفيفاً، واختاره أبو عبيد. الباقر: «تَشَقَّقُ» بتشديد الشين على الإدغام، واختاره أبو حاتم. وكذلك في «ق»^(٣).

«بِالْغَمَامِ» أي: عن الغمام. والباءُ و«عن» يتعاقبان، كما تقول: رميت بالقوس، وعن القوس^(٤).

وروي أن السماء تشقق عن سحاب أبيض رقيقٍ مثل الضبابة، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم، فتشق السماء عنه؛ وهو الذي قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾^(٥) [البقرة: ٢١٠].

﴿وَزُلَّ الْمَلَكُ تَزِيلًا﴾ من السماوات، ويأتي الربُّ جلَّ وعزَّ في الثمانية الذين يحملون العرشَ لفصل القضاء، على ما يجوز أن يُحمل عليه إتيانه؛ لا على ما تُحمل عليه صفاتُ المخلوقين من الحركة والانتقال^(٦). وقال ابن عباس: تشقق سماء الدنيا، فينزل

(١) أخرجه الإمام أحمد (١١٧١٧)، قال الهيثمي في المجمع ٣٣٧/١٠: رواه أحمد وأبو يعلى وإسناده حسن على ضعف في راويه. وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ٤٤٨/١١: وسنده حسن.

(٢) قراءة عاصم وحمزة والكسائي وأبي عمرو في السبعة ص ٤٦٤، والتيسير ص ١٦٣، وقراءة الأعمش، في معاني القرآن للفراء ٢/٢٦٧. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٣/١٥٧.

(٣) في قوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ يِرْكَأُ﴾ الآية ٤٤.

(٤) تفسير البغوي ٣/٣٦٦، وبنحوه في تفسير الطبري ١٧/٤٣٦.

(٥) الكشف ٣/٨٩، وأخرجه الطبري في تفسير ١٧/٤٣٧، وابن أبي حاتم ٨/٢٦٨٢ (١٥٠٨٨) عن مجاهد.

(٦) صفة الإتيان ثابتة لله عز وجل على الوجه الذي يليق به، من غير تشبيه ولا تأويل ولا تحريف.

أهلها وهم أكثر ممن في الأرض من الجن والإنس، ثم تنشق السماء الثانية، فينزل أهلها وهم أكثر ممن في سماء الدنيا، ثم كذلك حتى تنشق السماء السابعة، ثم ينزل الكروبيون وحملة العرش^(١)؛ وهو معنى قوله: ﴿وَنَزَّلَ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا﴾ أي: من السماء إلى الأرض لحساب الثقلين.

وقيل: إن السماء تنشق بالغمام الذي بينها وبين الناس؛ فبتشقق الغمام تشقق السماء^(٢)؛ فإذا انشقت السماء انتقض تركيبها وطويت، ونزلت الملائكة إلى مكان سواها.

وقرأ ابن كثير: «وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ» بالنصب من الإنزال. الباقون: «وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ» بالرفع^(٣). دليله: «تَنْزِيلًا». ولو كان على الأول لقال: إنزالاً. وقد قيل: إن نَزَلَ وأنزَلَ بمعنى، فجاء «تَنْزِيلًا» على «نَزَلَ». وقد قرأ عبد الوهَّاب عن أبي عمرو: «وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا»^(٤). وقرأ ابن مسعود: «وَأَنْزَلَ الْمَلَائِكَةَ». وأبي بن كعب: «وَنُزِّلَتِ الْمَلَائِكَةُ». وعنه: «وَتَنْزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ»^(٥).

قوله تعالى: ﴿أَلْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ «الْمَلِكُ» مبتدأ، و«الْحَقُّ» صفة له و«لِلرَّحْمَنِ» الخبر^(٦)؛ لأن الملك الذي يزول وينقطع ليس بملك، فبطلت يومئذ أملاك المالكين وانقطعت دعوايهم، وزال كل ملك وملكه، وبقي الملك الحق لله

(١) تفسير مجاهد ٢/٤٥٠-٤٥١، وأخرجه الطبري في تفسيره ١٧/٤٣٨، وابن أبي حاتم ٨/٣٦٨٢ (١٥٠٨٩)، والحاكم في المستدرک ٤/٥٦٩، بنحوه. قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: مداره على علي بن زيد بن جُدعان وفيه ضعف، وفي سياقه غالباً نكارة شديدة.

(٢) في (د) و(ف): فيتشقق الغمام بتشقق السماء.

(٣) السبعة ص ٤٦٤، والتيسير ص ١٦٤.

(٤) المحتسب ٢/١٢١، والمحزر الوجيز ٤/٢٠٧. قال ابن جني: هذا غير معروف؛ لأن «نَزَلَ» لا يتعدى إلى مفعول به. انتهى كلامه، والقراءة المشهورة عن أبي عمرو كقراءة الجماعة.

(٥) القراءات الشاذة ص ١٠٤.

(٦) البيان لابن الأنباري ٢/٢٠٤.

سَبِيلُ كُلِّ ظَالِمٍ قَبْلَ^(١) مِنْ غَيْرِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قال ابن عباس وقتادة وغيرهما: وكان عقبة قد همَّ بالإسلام، فمنعه منه أبيُّ بن خلف وكانا خِذْنَيْنِ، وأنَّ النبي ﷺ قتلها جميعاً، قُتِلَ عَقْبَةُ يَوْمَ بَدْرٍ صَبْرًا، وأبيُّ بن خلف في المبارزة يومَ أحد^(٢)؛ ذكره القشيريُّ والثعلبيُّ، والأول ذكره النَّحَّاسُ.

وقال السُّهيلي^(٣): «وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ» هو عقبة بنُ أبي مُعَيْطٍ، وكان صديقاً لأمية بنِ خلفِ الجُمَحِيِّ - ويروى لأبي بن خلف أخِي أمية - وكان قد صنع وليمةً، فدعا إليها قريشاً، ودعا رسولَ الله ﷺ، فأبى أن يأتِيه إلاَّ أن يُسَلِّمَ. وكَرِهَ عَقْبَةُ أن يتأخَّرَ عن طعامه من أشرف قريشٍ أحدٌ، فأسلم ونطق بالشهادتين^(٤)، فأتاه رسولُ الله ﷺ، وأكل من طعامه، فعاتبه خليلُه أمية بنُ خلف - أو أبيُّ بن خلف - وكان غائباً. فقال عقبة: رأيتُ عظيماً ألاَّ يحضُرَ طعامي رجلٌ من أشرف قريش. فقال له خليله: لا أرضى حتى ترجعَ وتبصُقَ في وجهه وتطأَ عنقه^(٥) وتقول كيت وكيت. ففعل عدو الله ما أمره به خليلُه؛ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾^(٦).

قال الضَّحَّاك^(٧): لَمَّا بَصَقَ عَقْبَةُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَجَعَ بِصَاقُهُ فِي وَجْهِهِ وَشَوَى وَجْهَهُ وَشَفْتِيهِ، حَتَّى أَثَّرَ فِي وَجْهِهِ، وَأَحْرَقَ خَدَّيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ أَثَرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ

(١) في (د) و(ظ): قتل، وهي غير متقوطة في (ز)، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في إعراب القرآن للنحاس ١٥٨/٣، والكلام منه.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٩٧٣١) عن مقسم مولى ابن عباس مطولاً، ومن طريقه أخرجه الطبري ٤٤٠/١٧، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٣٤٧-٣٤٨.

(٣) في التعريف والإعلام ص ١٢٣.

(٤) قوله: ونطق بالشهادتين، ليس في التعريف والإعلام.

(٥) قوله: وتطأ عنقه، ليس في التعريف والإعلام.

(٦) كذا أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٤٠١) من طريق ابن السائب الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهذا إسناد ضعيف جداً، والصحيح ما أخرجه عبد الرزاق (٩٧٣١)، ومن طريقه الطبري ٤٤٠/١٧ - ٤٤١ أن الله لم يسلطه على ذلك.

(٧) ذكر قوله بنحوه الواحدي في أسباب النزول ص ٣٤٨، والبغوي في تفسيره ٣٦٧/٣.

حتى قُتل. وعَضُّهُ يديه فِعْلُ النادمِ الحزين لأجل طاعته خليله.

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ في الدنيا، يعني طريقاً إلى الجنة.

﴿يَتَوَلَّى﴾: دعاءً بالويل والثبور على مخالفة^(١) الكافر ومتابعته.

﴿لَيْتَنِي لَرَأَيْتَنِي لَأَخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ يعني أمية، وكنى عنه ولم يصرح باسمه، لئلا يكون

هذا الوعدُ مخصوصاً به ولا مقصوراً، بل يتناول جميع من فعل مثل فعليهما^(٢). وقال

مجاهدٌ وأبو رجاء: الظالم عامٌّ في كل ظالم، وفلان: الشيطان^(٣). واحتجَّ لصاحب

هذا القول بأن بعده: «وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا».

وقرأ الحسن: «يَا وَيْلَتِي»^(٤). وقد مضى في «هود» بيانه^(٥). والخليل: الصاحبُ

والصديق. وقد مضى في «النساء» بيانه^(٦).

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ أي: يقول هذا النادم: لقد أضلّني مَنْ اتخذته في

الدنيا خليلاً عن القرآن والإيمان به. وقيل: «عَنِ الذِّكْرِ» أي: عن الرسول. ﴿وَكَانَ

الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ قيل: هذا من قول الله لا من قول الظالم. وتمامُ الكلام على

هذا عند قوله: «بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي». والخذل: الترك من الإعانة^(٧)، ومنه خذلان إبليسَ

للمشركين لما ظهر لهم في صورة سراقه بن مالك، فلما رأى الملائكة تبرأ منهم^(٨).

وكلُّ مَنْ صدَّ عن سبيل الله وأطبع في معصية الله فهو شيطانٌ للإنسان، «خَذُولًا» عند

(١) في (د) و(ز) و(ظ): مخالفة.

(٢) التعريف والإعلام ص ١٢٣.

(٣) المحرر الوجيز ٢٦/٤، وأخرج منه قوله: «فلان: الشيطان»؛ الطبري ٤٤٢/١٧ عن مجاهد، وابن

أبي حاتم ٢٦٨٦/٨ و(١٥١٠٩) و(١٥١١٠) عن مجاهد وأبي رجاء.

(٤) القراءات الشاذة ص ١٠٤.

(٥) ١٦٨/١١.

(٦) ١٥٦-١٥٥/٧.

(٧) في (د) و(ظ): الإغانة.

(٨) سلف ٤٢/١٠.

نزول العذاب والبلاء. ولقد أحسنَ مَنْ قال:

تَجَنَّبَ قَرِيْنَ السُّوءِ وَاصْرِمْ حِبَالَهُ
وَأَحْبَبْ حَبِيبَ الصَّدَقِ وَاحْذِرْ مِرَاءَهُ
وَفِي الشَّيْبِ مَا يَنْهَى الْحَلِيمَ عَنِ الصَّبَا
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ عَنْهُ مَحِيصًا فَدَارِهِ
تَنَلْ مِنْهُ صَفْوَ الْوُدِّ مَا لَمْ تَمَارِهِ
إِذَا اشْتَعَلَتْ نِيرَانُهُ فِي عِدَارِهِ^(١)

آخر:

إِصْحَبْ خِيَارَ النَّاسِ حَيْثُ لَقَيْتَهُمْ
وَالنَّاسُ مِثْلُ دَرَاهِمٍ مَيَّرَتْهَا
خَيْرُ الصَّحَابَةِ مَنْ يَكُونُ عَفِيفًا
فَوَجَدَتْ مِنْهَا فِضَّةً وَزُيُوفًا^(٢)

وفي الصحيح من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ. فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحَدِّثَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحَرِّقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحاً خَبِيثَةً» لفظ مسلم^(٣). وأخرجه أبو داود من حديث أنس^(٤).

وذكر أبو بكر البرزاري عن ابن عباس قال: قيل: يا رسول الله؛ أيُّ جلسائنا خير؟ قال: «مَنْ ذَكَرَكُمْ بِاللَّهِ رَوْيْتُهُ، وَزَادَ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقَهُ، وَذَكَرَكُمْ بِالْآخِرَةِ عَمَلُهُ»^(٥).

وقال مالك بن دينار: إنك إن تنقل الأحجار مع الأبرار خير لك من أن تأكل الخبيص مع الفجار^(٦). وأنشد:

(١) البيت الأول في غرر الخصائص الواضحة ص ٤٦٧، والبيتان الأولان في فيض القدير ٤/٣ دون نسبة.

(٢) روضة العقلاء لابن حبان ص ١٠٢.

(٣) صحيح البخاري (٥٥٣٤) وصحيح مسلم (٢٦٢٨). وهو في مسند أحمد (١٩٦٢٤). وقوله: ونافخ الكبير،

الكبير: مئفخ الحداد من زق أو جلد غليظ ذو حافات. الصحاح (كبر). وقوله: يحذيك، أي: يعطيك.

إكمال المعلم ١٠٨/٨.

(٤) سنن أبي داود (٢٨٢٩).

(٥) لم نقف عليه عند البرزاري، وهو عند أبي يعلى (٢٤٣٧)، وابن عدي في الكامل ٦/٢٣٢٤، والبيهقي في

الشعب (٩٤٤٦) و(٩٤٤٧). قال الهيثمي في المجمع ١٠/٢٢٦: فيه مبارك بن حسان، وقد وثق،

وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٦) أخرجه ابن حبان في روضة العقلاء ص ١٠٠.

وصاحب خيار الناس تنج مسلماً وصاحب شرار الناس يوماً فتندما

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾
وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ﴾ يريد محمداً ﷺ، يشكوهم إلى الله تعالى^(١).
﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ أي: قالوا فيه غير الحق من أنه سحرٌ وشعر؛
عن مجاهد والنخعي^(٢). وقيل: معنى «مهجوراً» أي: متروكاً^(٣)؛ فعزاه الله تبارك
وتعالى وسأله بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كما جعلنا لك يا
محمد عدوًّا من مشركي قوميك - وهو أبو جهل في قول ابن عباس - فكذلك جعلنا
لكل نبيٍّ عدوًّا من مشركي قومه^(٤)، فاصبر لأمري كما صبروا، فإنني هاديك
وناصرك^(٥) على كل من ناوك.

وقد قيل: إن قول الرسول: «يَا رَبِّ» إنما يقوله يوم القيامة، أي: هجروا القرآن
وهجروني وكذبوني^(٦). وقال أنس: قال النبي ﷺ: «من تعلّم القرآن^(٧) وعلّق
مصحفاً^(٨) لم يتعاهده ولم ينظر فيه، جاء يوم القيامة متعلقاً به يقول: يا رب العالمين!
إِنَّ عَبْدَكَ هَذَا اتَّخَذَنِي مَهْجُورًا، فاقض بيني وبينه». ذكره الثعلبي^(٩).

(١) الوسيط للواحدى ٣/٣٣٩.

(٢) تفسير البغوي ٣/٣٦٨، وأخرجه عنهما الطبري ١٧/٤٤٣.

(٣) أخرجه الطبري ١٧/٤٤٤ عن ابن زيد.

(٤) الوسيط للواحدى ٣/٣٣٩، وقول ابن عباس أخرجه ابن مردويه كما في الدر المثور ٥/٧٠.

(٥) تفسير البغوي ٣/٣٦٨.

(٦) ينظر زاد المسير ٦/٨٧.

(٧) في (د) و(ز) و(ظ) زيادة: وعلمه.

(٨) في (م): مصحفه.

(٩) أخرجه الثعلبي من طريق أبي هذبة إبراهيم بن هذبة عن أنس، وأبو هذبة كذاب. الفتح السماوي

﴿وَكُنْفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ نصب على الحال، أو التمييز، أي: يهديك وينصرك، فلا تبال بمن عاداك^(١). وقال ابن عباس: عدو النبي ﷺ أبو جهل لعنه الله.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَّاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٣﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَّاحِدَةً﴾ اختلف في قائل ذلك على قولين: أحدهما: أنهم كفار قريش، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم اليهود حين رأوا نزول القرآن مفرّقاً قالوا: هلاً أنزل عليه جملة واحدة، كما أنزل التوراة على موسى^(٢)، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود. فقال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: فعلنا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ نقوي به قلبك فتعيه وتحمله^(٣)، لأن الكتب المتقدمة أنزلت على أنبياء يكتبون ويقرؤون، والقرآن أنزل على نبي أمي؛ ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ؛ ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور، ففرّقناه ليكون أوعى للنبي ﷺ، وأيسر على العامل به؛ فكان كلما نزل وحي جديد زاده قوة قلب^(٤).

قلت^(٥): فإن قيل: هلاً أنزل القرآن دفعة واحدة وحفظه إذا كان ذلك في قدرته؟ قيل: في قدرة الله أن يعلمه الكتابة^(٦) والقرآن في لحظة واحدة، ولكنه لم يفعل، ولا معترض عليه في حكمه، وقد بيّنا وجه الحكمة في ذلك.

وقد قيل: إن قوله: «كَذَلِكَ» من كلام المشركين، أي: لولا نزل عليه القرآن

(١) الوجيز للواحد ٩٧/٢ (على هامش مراح لبيد).

(٢) النكت والعيون ١٤٣/٤-١٤٤، وينظر تفسير البغوي ٣٦٨/٣.

(٣) في (د) و(ز): وتحمته، وفي تفسير البغوي ٣٦٨/٣ (والكلام منه): وتحفظه.

(٤) الوجيز ٩٧/٢ (على هامش مراح بن لبيد).

(٥) ليست في (د) و(ز) و(ظ).

(٦) في (د) و(م): الكتاب.

جملة واحدة كذلك، أي: كالتوراة والإنجيل، فَيَتِمُّ الوقف على «كَذَلِكَ»، ثم يبتدئ: «لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ» على معنى: أنزلناه عليك متفرقاً لنُثَبِّتَ به فؤادك^(١). ويجوز أن يكون الوقف على قوله: «جُمْلَةً وَاحِدَةً»، ثم يبتدئ: «كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ»^(٢) على معنى: أنزلناه عليك كذلك متفرقاً لنُثَبِّتَ به فؤادك.

قال ابن الأنباري: والوجهُ الأوَّلُ أجودٌ وأحسن، والقول الثاني قد جاء به التفسير؛ حدَّثنا محمد بنُ عثمان الشيبني قال: حدَّثنا منجاب قال: حدَّثنا بِشْر بن عمارة، عن أبي رَوْق، عن الضحَّاك، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] قال: أنزل القرآنُ جملةً واحدةً من عند الله عزَّ وجلَّ في اللوح المحفوظ إلى السَّفَرَةِ الكِرَامِ الكَاتِبِينَ في السماء، فنَجَّمه السَّفَرَةُ الكِرَامِ على جبريلَ عشرين ليلةً، ونَجَّمه جبريلُ عليه السلام على محمد ﷺ عشرين سنة. قال: فهو قوله: ﴿فَلَا أُفْسِدُ بِمَوْعِجِ التُّجُورِ﴾ يعني نجومَ القرآن ﴿وَإِنَّهُمْ لَقَسَسُوا لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمًا إِنَّهُمْ لَفُتْرَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٧]. قال: فلمَّا لم ينزل على النبي ﷺ جملةً واحدةً، قال الذين كفروا: لولا نُزِّلَ عليه القرآنُ جملةً واحدةً؛ فقال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ يا محمد^(٣).

﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ يقول: ورسلناه ترسيلاً؛ يقول: شيئاً بعد شيء^(٤).

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ قَبِيلًا﴾ يقول: لو أنزلنا عليك القرآنَ جملةً واحدةً ثم سألوك، لم يكن عندك ما تُجيبُ به، ولكن نُمسكُ عليك، فإذا سألوك أجبت.

(١) قوله: على معنى، إلى هذا الموضع، ليس في (د) و(م).

(٢) الكلام بنحوه في تفسير الرازي ٧٩/٢٤. وسيأتي القول فيه من كلام النحاس.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٨/٢٦٩٠ (١٥١٣٠) من هذا الطريق مختصراً جداً. وأخرجه مطولاً من طريق آخر بنحوه (١٥١٢٧).

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤/١٤٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال النحاس^(١): وكان ذلك من علامات النبوة؛ لأنهم لا يسألون عن شيء إلا أجبوا عنه، وهذا لا يكون إلا من نبي، فكان ذلك تثبيتاً لفؤاده وأفئدتهم، ويدلُّ على هذا: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾. ولو نزلَ جملةً بما فيه من الفرائض لثقل عليهم، وعلم الله عزَّ وجلَّ أنَّ الصَّلاحَ في إنزاله متفرِّقاً، لأنهم يُنبهون به مرَّةً بعد مرَّة، ولو نزل جملةً واحدة لزال معنى التنبيه. وفيه ناسخٌ ومنسوخ، فكانوا يُعبَّدون بالشيء إلى وقتٍ بعينه قد علم الله عزَّ وجلَّ فيه الصَّلاح، ثم ينزل النسخ بعد ذلك؛ فمحالٌ أن ينزلَ جملةً واحدة: إفعلوا كذا ولا تفعلوا كذا^(٢). قال النحاس: والأولى أن يكون التمامُ «جُمْلَةً وَاحِدَةً» لأنه إذا وقف على «كَذَلِكَ» صار المعنى: كالنوراة والإنجيل والزبور؛ ولم يتقدَّم لها ذُكر.

قال الضحاك: «وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا» أي: تفصيلاً^(٣). والمعنى: أحسن من مثلهم تفصيلاً؛ فحذف ليعلم السامع.

وقيل: كان المشركون يستمدُّون من أهل الكتاب، وكان قد غلب على أهل الكتاب التحريفُ والتبديل، فكان ما يأتي به النبي ﷺ أحسنَ تفسيراً ممَّا عندهم؛ لأنهم كانوا يخلطون الحقَّ بالباطل، والحقَّ المَحضُ أحسن من حقِّ مختلطٍ بباطل، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ٤٢].

وقيل: «لَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ» كقولهم في صفة عيسى: إنه خُلِقَ من غير أبٍ «إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ» أي: بما فيه نقضُ حُجَّتِهِمْ كآدم إذ خُلِقَ من غير أبٍ وأم.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُوءُ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ تقدَّم في «سبحان»^(٤).

(١) في إعراب القرآن للنحاس ٣/١٥٩-١٦٠.

(٢) قوله كذا من (ظ).

(٣) أخرجه الطبري ١٧/٤٤٨.

(٤) ١٧٨/١٣ - ١٧٩.

﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ لأنهم في جهنم. وقال مقاتل: قال الكفار لأصحاب محمد ﷺ: هو شرُّ الخلق؛ فنزلت الآية. ﴿وَأَصْلُ سَبِيلًا﴾ أي: دينًا وطريقًا^(١). ونظمُ الآية: ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق، وأنت منصورٌ عليهم بالحُجج الواضحة، وهم محشورون على وجوههم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٢٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلْنَهُمْ نَدْمِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يريد التوراة. ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ تقدّم في «طه»^(٢). ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبَا﴾ الخطابُ لهما. وقيل^(٣): إنما أمر موسى ﷺ بالذهاب وحده في المعنى. وهذا بمنزلة قوله: ﴿نَسِيًا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١] وقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢] وإنما يخرج من أحدهما.

قال النحاس^(٤): وهذا مما لا ينبغي أن يُجتراً به على كتاب الله تعالى، وقد قال جلّ وعزّ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا عَلَّمَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى . قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْفِنَا . قَالَ لَا نَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى . فَأَنبَاهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٤-٤٧]. ونظيرُ هذا: ﴿وَمِنْ ذُنُوبِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢]، وقد قال جلّ ثناؤه: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا﴾ [المؤمنون: ٤٥] قال القشيري: وقوله في موضع آخر: ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: ٢٤] لا ينافي هذا؛ لأنهما إذا كانا مأمورين، فكلُّ واحدٍ مأمور. ويجوز أن يقال: أمر موسى أولاً، ثم لما قال: «واجعل لي وزيراً من أهلي»، قال: «أذهبَا إِلَى فِرْعَوْنَ»^(٥).

(١) الوسيط للواحد ٣/٣٤٠.

(٢) ٥٣/١٤.

(٣) قائله الفراء في معاني القرآن ٢/٢٦٨.

(٤) في إعراب القرآن ٣/١٦٠، وكلام الفراء منه.

(٥) سلف الكلام ١٤/٦٣.

﴿إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يريد فرعون وهامان والقبط. ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ﴾ في الكلام إضمار، أي: فكذبوهما ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ أي: أهلكتناهم إهلاكاً^(١).

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ في نصب «قوم» أربعة أقوال:

العطف على الهاء والميم في «دَمَّرْنَاهُمْ».

الثاني: بمعنى: اذكر.

الثالث: بإضمار فعلٍ يفسره ما بعده، والتقدير: وأغرقنا قوم نوحٍ أغرقناهم.

الرابع: أنه منصوب بـ «أَغْرَقْنَاهُمْ» قاله الفراء^(٢). وردّه النحاس^(٣)، قال: لَأَنَّ

«أغرقنا» ليس مما يتعدى إلى مفعولين فيعمل في المضمر وفي «قَوْمِ نُوحٍ».

﴿لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ ذكر الجنس والمراد نوحٌ وحده؛ لأنه لم يكن في ذلك الوقت رسولٌ إليهم إلا نوحٌ وحده، فنوحٌ إنما بُعث بلا إله إلا الله، وبالإيمان بما يُنزل الله، فلَمَّا كَذَّبُوهُ، كان في ذلك تكذيبٌ لكل من بُعث بعده بهذه الكلمة^(٤). وقيل: إِنَّ مَنْ كَذَّبَ رسولاً فقد كَذَّبَ جميعَ الرسل؛ لأنهم لا يفرق بينهم في الإيمان، ولأنه ما من نبيٍّ إلا يُصدِّق سائر أنبياء الله تعالى، فمن كَذَّبَ منهم نبياً، فقد كَذَّبَ كُلَّ مَنْ صدَّقه من النبيين.

﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ أي: بالطوفان، على ما تقدّم في «هود»^(٥). ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ

(١) تفسير البغوي ٣/٣٦٩.

(٢) في معانيه ٢/٢٦٨.

(٣) في إعراب القرآن ٣/١٦١. وما قبله منه.

(٤) الكلام بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٤/٦٧-٦٨.

(٥) ١١٨/١١ فما بعد.

آيَةٌ ﴿ أَي : علامة ظاهرة على قدرتنا . ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ ﴾ أي : للمشركين من قوم نوح ﴿ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ أي : في الآخرة . وقيل : أي : هذه سبيلي في كل ظالم .

قوله تعالى : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ كُله معطوف على «قَوْمِ نُوحٍ» إذا كان «قَوْمِ نُوحٍ» منصوباً على العطف، أو بمعنى : اذكر . ويجوز أن يكون كُله منصوباً على أنه معطوف على المضمر في «دَمَرْنَاهُمْ»، أو على المضمر في «جَعَلْنَاهُمْ»، وهو اختيار النحاس^(١)؛ لأنه أقرب إليه . ويجوز أن يكون منصوباً بإضمار فعل، أي : اذكر عاداً الذين كذبوا هوداً؛ فأهلكهم الله بالريح العقيم، وثموداً كذبوا صالحاً؛ فأهلكوا بالرجفة .

﴿ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ ﴾ والرَّسُّ في كلام العرب : البئر التي تكون غير مطوية^(٢)،

والجمع : رِساس . قال :

تَنَابِلَةٌ يَحْفِرُونَ الرَّسَّاسَا^(٣)

يعني آبار المعادن^(٤) .

قال ابن عباس : سألت كعباً عن أصحاب الرِّسِّ، قال : صاحب «يس» الذي قال : ﴿ يَنْقَوِرُ أَتَيْعُوا الْمُرْسِكِينَ ﴾ [يس : ٢٠] قتله قومه ورَّسوه في بئر لهم يقال لها : الرِّسِّ، طرحوه فيها، وكذا قال مقاتل . السُّدِّيُّ : هم أصحاب قصة «يس» أهل أنطاكية، والرِّسُّ بئرٌ بأنطاكية؛ قتلوا فيها حبيباً النجار مؤمناً آل «يس»، فنُسبوا إليها^(٥) .

(١) في إعراب القرآن ١٦١/٣ . وما قبله منه .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف ٩٢/٣ ، والرازي في تفسيره ٨٢/٢٤ عن أبي عبيدة . وفي أكثر كتب اللغة أن الرس : البئر المطوية . قال في الصحاح : هو من الأضداد . وسيأتي .

(٣) عجز بيت للنابغة الجعدي ، و هو في ديوانه ص ٨٢ . صدره : سبقتُ إلى فَرَطٍ ناهلٍ . والفراط : الماء المتقدم لغيره من الأمواه، وتنايلة : جمع تَيْبَالٍ وتَيْبَالَةٌ، وهو القصير . القاموس (فراط) (نيل) .

(٤) تفسير غريب القرآن ص ٣١٣ .

(٥) الكلام بنحوه في الوسيط ٣/٣٤٠ ، وينظر المحرر الوجيز ٤/٢١٠ .

وقال عليٌّ عليه السلام ^(١): هم قومٌ كانوا يعبدون شجرة صنوبر، فدعا عليهم نبيهم؛ وكان من ولد يهوذا، فيبيست الشجرة، فقتلوه ورشوه في بئر، فأظلمت سحابة سوداء فأحرقتهم.

وقال ابن عباس: هم قومٌ بأذربيجان ^(٢)؛ قتلوا أنبياء ^(٣)، فجفت أشجارهم وزرعهم، فماتوا جوعاً وعطشاً.

وقال وهب بن منبه: كانوا أهل بئر يقعدون عليها وأصحاب مواشي، وكانوا يعبدون الأصنام، فأرسل الله إليهم شعيباً، فكذبوه وآذوه، وتمادوا على كفرهم وطغيانهم، فبينما هم حول البئر في منازلهم، انهارت بهم وبديارهم؛ فخسف الله بهم، فهلكوا جميعاً ^(٤).

وقال قتادة: أصحاب الرّسّ وأصحاب الأيكة أمّتان أرسل الله إليهما شعيباً فكذبوه، فعذبهما الله بعذابين. قال قتادة: والرّسّ قرية بقلج اليمامة ^(٥).

وقال عكرمة: هم قومٌ رشوا نبيهم في بئر حياً ^(٦). دليله ما روى محمد بن كعب القرظي عن حدثه: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة عبدٌ أسود، وذلك أن الله تعالى بعث نبياً إلى قومه، فلم يؤمن به إلا ذلك الأسود، فحفر أهل القرية بئراً وألقوا فيها نبيهم حياً، وأطبقوا عليه حجراً ضخماً، وكان العبد الأسود يحتطب على ظهره ويبيعه، ويأتيه بطعامه وشرابه، فيعيّنه الله على رفع تلك الصخرة حتى يُدليّه إليه، فبينما هو يحتطب إذ نام، فضرب الله على أذنه سبع سنين

(١) ذكر قوله ابن عطية في المحرر الوجيز ٢١١/٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٩٠/٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٦٩٥/٨ (١٥١٧٣).

(٣) في (د) و (ز): نبياً. وينظر عرائس المجالس ص ١٥٢.

(٤) الوسيط ٣/٣٤١، وزاد المسير ٩٠/٦.

(٥) المحرر الوجيز ٢١٠/٤. وقول قتادة الثاني أخرجه الطبري ٤٥٢/١٧.

(٦) أخرجه الطبري ٤٥٢/١٧ دون قوله: حياً.

نائماً، ثم هبَّ من نومه فتمطَّى واتَّكأ على شِقِّهِ الْآخَرَ، فضرب الله على أذنه سبع سنين، ثم هبَّ، فاحتمل حُزْمَةَ الحطب فباعها، وأتى بطعامه وشرابه إلى البئر، فلم يجده، وكان قومه قد أراهم الله تعالى آيَةً، فاستخرَجوه وآمنوا به وصدَّقوه، ومات ذلك النبيِّ. قال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ ذَلِكَ الْعَبْدَ الْأَسْوَدَ لَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ»^(١). ذكر هذا الخبر المهدويُّ والثعلبيُّ، واللفظُ للثعلبيِّ، وقال: هؤلاء آمنوا بنبيِّهم فلا يجوز أن يكونوا أصحابَ الرَّسِّ؛ لأن الله تعالى أخبر عن أصحاب الرِّسِّ أنه دمرهم، إلا أن يدمروا بأحداثٍ أحدثوها بعد نبيِّهم.

وقال الكلبي: أصحاب الرِّسِّ قومٌ أرسل الله إليهم نبياً فأكلوه. وهم أوَّل من عمل نساؤهم السَّحْق^(٢)؛ ذكره الماوردي.

وقيل: هم أصحابُ الأخدود الذين حفروا الأخاديد وحرَّقوا فيها المؤمنين^(٣)، وسيأتي^(٤).

وقيل: هم بقايا من قومِ ثمود، وأنَّ الرَّسَّ البئرُ المذكورة في «الحج» في قوله: ﴿وَيَبِّرُ مَعْطَلَةً﴾^(٥) [الآية: ٤٥] على ما تقدَّم^(٦).

وفي الصحاح: والرِّسُّ اسمٌ بئرُ كانت لبقية من ثمود.

وقال جعفر بنُ محمد عن أبيه: أصحابُ الرِّسِّ قومٌ كانوا يستحسنون لنسائهم

(١) أخرجه الطبري ٤٥٤/١٧-٤٥٥. وكلام الثعلبي الآتي فيه. قال ابن كثير في تفسيره ١١٢/٦: فيه غرابة ونكارة، ولعل فيه إدراجاً، والله أعلم.

(٢) في (ز)، والنكت والعيون ١٤٦/٤، وزاد المسير ٩٠/٦: السحر، والمثبت من (د) و(ظ) و(م)، وينظر عرائس المجالس ص ١٥١ فما بعد، فقد ذكر قصة أصحاب الرِّس نقلاً عن الكلبي وغيره، ولم يعرِّج على ذكر السحر. والله أعلم.

(٣) تفسير البغوي ٣/٣٦٩.

(٤) عند تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ [البروج: ٤].

(٥) تفسير البغوي ٣/٣٦٩، وأخرجه الطبري ٤٥٢/١٧ عن ابن عباس رضي الله عنهما مختصراً.

(٦) ٤١٧/١٤.

السَّخْقُ، وكان نساؤهم كلُّهم سَخَّاقَاتٍ^(١). وروي من حديث أنسٍ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَكْتَفِيَ الرَّجَالُ بِالرِّجَالِ وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ، وَذَلِكَ السَّخْقُ»^(٢).

وقيل: الرَّسُّ ماءٌ ونخل لبني أسد. وقيل: الثلج المتراكم في الجبال؛ ذكره القُشَيْرِيُّ. وما ذكرناه أولاً هو المعروف، وهو^(٣) كلُّ حفرٍ احتُفِرَ، كالقبر والمعدن والبترا. قال أبو عبيدة: الرَّسُّ كلُّ رَكِيَّةٍ لَمْ تُطَوَّ؛ وجمعها رِساس. قال الشاعر:

وهم سائرون إلى أرضهم فيا ليتهم يحفرون الرُّساسا^(٤)
والرُّسُّ اسمٌ وادٍ في قول زهير:

بَكْرُنٌ بَكُوراً وَاسْتَحْرُنْ بِسُخْرَةٍ فهنَّ لوادي الرَّسِّ كاليد للقم^(٥)

ورسستُ رساً: حفرتُ بئراً. ورُسَّ الميثُ، أي: قُبر. والرُّسُّ: الإصلاح بين الناس، والإفساد أيضاً، وقد رسست بينهم؛ فهو من الأضداد^(٦).

وقد قيل في أصحاب الرَّسِّ غيرُ ما ذكرنا، ذكره الثعلبي وغيره.

﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ أي: أمماً لا يعلمهم إلا الله بين قوم نوح وعادٍ وحمود

وأصحابِ الرَّسِّ.

(١) ينظر مجمع البيان ١٩/١٠٧.

(٢) أخرجه بنحوه الطبراني في الأوسط (١٠٩٠) وأخرجه البيهقي في الشعب (٥٤٦٧) - (٥٤٦٩) وضعف إسناده ثم قال: غير أنه إذا ضم بعضه إلى بعض أخذ قوة، والله أعلم.

وله شاهد من حديث ابن مسعود ؓ أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٥٥٦) مطولاً. قال الهيثمي في المجمع ٧/٣٢٣: رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه سيف بن مسكين، وهو ضعيف.

(٣) في (ظ): وقيل هو..

(٤) لم نقف عليه.

(٥) ديوان زهير ص ١٠، وقوله: كاليد للقم، هو بمعنى المثل العربي: أقرب من يد إلى قم. ينظر

المستقصى للزمخشري ١/٢٧٩.

(٦) الصحاح (رسس).

وعن الربيع بن خثيم اشتكى، فقيل له: ألا تتداوى، فإن رسول الله ﷺ قد أمر به؟ قال: لقد هممت بذلك، ثم فكرت فيما بيني وبين نفسي، فإذا «عاداً وثمود وأصحاب الرّسّ وقروناً بين ذلك كثيراً» كانوا أكثر وأشدّ حرصاً على جمع المال، فكان فيهم أطباء، فلا الناعث منهم بقي ولا المنعوت. فأبى أن يتداوى^(١)، فما مكث إلا خمسة أيام حتى مات، رحمه الله.

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكَلَّا تَبَرَّأْنَا تَنْبِيْرًا ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ قال الزجاج: أي: وأنذرنا كلاً ضربنا له الأمثال^(٢)، وبيّننا لهم الحجة، ولم نضرب لهم الأمثال الباطلة كما يفعل هؤلاء الكفّرة. وقيل: انتصب على تقدير: ذكّرنا كلاً، ونحوه؛ لأن ضرب الأمثال تذكيرٌ ووعظ؛ ذكره المهدوي. والمعنى واحد.

﴿وَكَلَّا تَبَرَّأْنَا تَنْبِيْرًا﴾ أي: أهلكنا بالعذاب. وتبرّأ الشيء كسرته^(٣). وقال

المؤرّج والأخفش: دمّرناهم تدميراً. تُبدل التاء والباء من الدال والميم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرَ السَّوْءِ أَفْكَمَ يَكْفُؤُوا يَكْفُؤُهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ شَوْرًا ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ﴾ يعني مشركي مكة. والقرية قرية قوم لوط. و﴿مَطَرَ السَّوْءِ﴾: الحجارة التي أمطروا بها. ﴿أَفْكَمَ يَكْفُؤُوا يَكْفُؤُهَا﴾ أي: في أسفارهم ليعتبروا^(٤). قال ابن عباس: كانت قريش في تجارتها إلى الشام تمرّ بمدائن قوم لوط، كما قال الله تعالى: ﴿وَلْيَكْفُرْ لِكُرْؤِنَ عَلَيْهِمْ مُّصِحِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٣٧]، وقال:

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠٦/٢ بنحوه.

(٢) معاني القرآن ٦٨/٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الكلام بنحوه في الوجيز ٩٨/٢ (على هامش مراح لبيد)، والوسيط للواحد ٣٤١/٣.

﴿وَأَنهَذَا لِيَأْمُرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٧٩]. و قد تقدّم (١).

﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ أي: لا يصدقون بالبعث. ويجوز أن يكون معنى «يَرْجُونَ»: يخافون. ويجوز أن يكون على بابه، ويكون معناه: بل كانوا لا يرجون ثواب الآخرة (٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَن أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا﴾ جواب «إِذَا» «إِن يَتَّخِذُونَكَ»؛ لأن معناه: يتخذونك. وقيل: الجواب محذوف، وهو: قالوا، أو: يقولون: «أَهَذَا الَّذِي» (٣)؛ وقوله: «إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا» كلامٌ معترض. ونزلت في أبي جهل؛ كان يقول للنبي ﷺ مستهزئاً: «أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» (٤). والعائد محذوف، أي: بعثه الله (٥). «رَسُولًا» نصب على الحال، والتقدير: أهذا الذي بعثه الله مُرْسَلًا. «أَهَذَا» رفع بالابتداء، و«الذي» خبره، «رَسُولًا» نصب على الحال، و«بَعَثَ» في صلة «الَّذِي»، واسمُ الله عزَّ وجلَّ رفع بـ «بَعَثَ». ويجوز أن يكون مصدرًا؛ لأن معنى «بَعَثَ» أرسل، ويكون معنى «رَسُولًا» رسالةً على هذا (٦). والألف للاستفهام، على معنى التقرير والاحتقار.

﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ أي: قالوا: قد كاد أن يصرفنا. ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا﴾

(١) ٢٣٧/١٢.

(٢) وهذا الوجه هو الذي ارتضاه الزجاج في معاني القرآن ٦٩/٤، وينظر إعراب القرآن للنحاس ١٦٢/٣.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٦٢/٣.

(٤) تفسير البغوي ٣/٣٧٠.

(٥) مجمع البيان ١٩/١١٠.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١٦٢/٣.

عَلَيْهَا ﴿ أَي : حبسنا أنفسنا على عبادتها. قال الله تعالى : ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ
الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ يريد : مَنْ أضلُّ دِينًا ؛ أهم أم محمد؟ وقد رأوه في يوم بدر.

قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴾ ﴿٤١﴾

قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ عَجَّبَ نَبِيَّهُ ﷺ من إضمارهم على
الشُّرك وإصرارهم عليه مع إقرارهم بأنه خالفهم ورازقهم ، ثم يعمدُ إلى حجر يعبده من
غير حِجَّة. قال الكلبي وغيره : كانت العرب إذا هَوِيَ الرجلُ منهم شيئاً ؛ عبده من دون
الله ، فإذا رأى أحسنَ منه ؛ ترك الأوَّلَ وعبَدَ الأحسن^(١) . فعلى هذا يعني : أَرَأَيْتَ من
اتخذَ إلهه بهواه ؛ فحذف الجارَ.

وقال ابن عباس : الهوى إلهٌ يعبد من دون الله^(٢) ، ثم تلا هذه الآية.

قال الشاعر :

لَعَمْرُ أَبِيهَا لَو تَبَدَّتْ لِنَاسِكِ قَدِ اعْتَزَلَ الدُّنْيَا بِإِحْدَى المَنَاسِكِ
لَصَلَّى لَهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ لِرَبِّهِ وَلَا زَتَدُ فِي الدُّنْيَا بِأَعْمَالِ فَاتِكِ^(٣)

وقيل : « اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ » أي : أطاع هواه. وعن الحسن : لا يَهْوَى شيئاً إلا
اتَّبَعَهُ^(٤) ، والمعنى واحد.

﴿ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴾ أي : حفيظاً وكفيلاً حتى تردّه إلى الإيمان وتُخرجه
من هذا الفساد. أي : ليست الهداية والضلالة موكلتين إلى مشيئتكَ ، وإنما عليك
التبليغ. وهذا ردُّ على القَدَرِيَّة. ثم قيل : إنها منسوخةُ بآية القتال^(٥) . وقيل : لم
تُنسخ^(٦) ؛ لأنَّ الآية تسليّةٌ للنبي ﷺ.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٦٩٩/٨ (١٥١٩٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) المحرر الوجيز ٢١٢/٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٠٠/٨ (١٥٢٠٠) بنحوه .

(٣) لم نقف عليهما .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٠٠/٨ (١٥٢٠١) .

(٥) قاله الكلبي كما في الوسيط للواحدي ٣٤١/٣ .

(٦) المصنفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ لابن الجوزي ص ٤٢ .

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ولم يقل: أنهم؛ لأن منهم من قد علم أنه يؤمن. وذمهم جلَّ وعزَّ بهذا. «أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ» سماعٌ قَبول، أو يفكِّرون فيما تقول فيعقلونه، أي: هم بمنزلة من لا يعقل ولا يسمع. وقيل: المعنى: أنهم لما لم يتفَعوا بما يسمعون؛ فكأنهم لم يسمعوا^(١)؛ والمراد أهل مكة^(٢). وقيل: «أَمْ» بمعنى بل في مثل هذا الموضع^(٣).

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ أي: في الأكل والشرب لا يفكِّرون في الآخرة^(٤). ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ إذ لا حساب ولا عقاب على الأنعام. وقال مقاتل^(٥): البهائم تعرف ربِّها، وتهتدي إلى مراعيها، وتنقاد لأربابها التي تعقلها^(٦)، وهؤلاء لا ينقادون ولا يعرفون ربِّهم الذي خلقهم ورزقهم. وقيل: لأن البهائم إن لم تعقل صحَّة التوحيد والنبوة، لم تعتقد بطلان ذلك أيضاً^(٧).

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْتَهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ يجوز أن تكون هذه الرؤية من رؤية العين، ويجوز أن تكون من العلم^(٨).

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٦٢/٣ .

(٢) زاد المسير ٩٢/٦ .

(٣) الكشف ٩٣/٣ .

(٤) تفسير أبي الليث ٤٦٢/٢ .

(٥) ذكر قوله أبو الليث بنحوه .

(٦) في (ز) و (ظ): تعلقها .

(٧) ينظر تفسير الرازي ٨٧/٢٤ .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٧٠/٤ .

قال الحسن وقتادة^(١) وغيرهما: مدّ الظلّ من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. وقيل: هو من غيبوبة الشمس إلى طلوعها. والأوّل أصحّ؛ والدليل على ذلك أنه ليس من ساعة أطيّب من تلك الساعة، فإنّ فيها يجد المريض راحةً، والمسافر وكلّ ذي علة، وفيها تُردُّ نفوسُ الأمواتِ والأرواحِ منهم إلى الأجساد، وتطيب نفوسُ الأحياء فيها. وهذه الصفة مفقودةٌ بعد المغرب. وقال أبو العالية: نهار الجنة هكذا، وأشار إلى ساعة المصلّين صلاةَ الفجر.

أبو عبيدة: الظلّ بالغداة والفيء بالعشيّ؛ لأنه يرجع بعد زوال الشمس؛ سُمّي فيئاً لأنه فاء من المشرق إلى جانب المغرب^(٢). قال الشاعر، وهو حميد بن ثور، يصف سرّحة، وكنى بها عن امرأة:

فلا الظلُّ من برد الضُّحا تستطيعُه ولا الفيء من برد العشيّ تذوقُ^(٣)

وقال ابن السكّيت: الظلُّ ما نسخته الشمس، والفيء ما نسخ الشمس. وحكى أبو عبيدة عن رؤبة قال: كلُّ ما كانت عليه الشمسُ فزالت عنه، فهو فيءٌ وظلٌّ، وما لم تكن عليه الشمسُ فهو ظلٌّ^(٤).

﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي: دائماً مستقرّاً لا تنسخه الشمس^(٥). ابنُ عباس: يريد إلى يوم القيامة^(٦)، وقيل: المعنى: لو شاء لَمَنَعَ الشمسَ الظلَّوعَ.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ أي: جعلنا الشمس بنسخها الظلَّ عند مجيئها دالّةً على أنّ الظلّ شيءٌ ومعنى؛ لأن الأشياء تُعرف بأضدادها؛ لولا الشمسُ ما عُرف

(١) أخرجه عنهما عبد الرزاق في تفسيره ٧٠/٢، وأخرجه الطبري ٤٦٠-٤٦١/١٧ عن ابن عباس وغيره.

(٢) تفسير البغوي ٣/٣٧٠.

(٣) الصحاح (فياً)، والبيت في الديوان ص ٤٠، والسرحة: شجرة عظيمة طويلة. الصحاح (سرح).

(٤) الصحاح (فياً).

(٥) تفسير غريب القرآن ص ٣١٣.

(٦) أخرجه الطبري ٤٦٢/١٧ بنحوه.

الظلّ، ولولا النور ما عُرفت الظلّمة^(١). فالدليل: فعيلٌ بمعنى الفاعل، وقيل: بمعنى المفعول، كالقتيل والدّهين والخضيب. أي: دللنا الشمس على الظلّ حتى ذهبت به، أي: أتبعناها إياه. فالشمس دليل، أي: حُجّة وبرهان، وهو الذي يكشف المشكل ويوضحه. ولم يؤنث الدليل وهو صفةُ الشمس؛ لأنه في معنى الاسم؛ كما يقال: الشمسُ برهان، والشمسُ حق.

﴿ثُمَّ قَبْضَتْهُ﴾ يريد ذلك الظلّ الممدود^(٢). ﴿إِنَّا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ أي: يسيرًا^(٣) قبضه علينا. وكلُّ أمرٍ ربّنا عليه يسير. فالظلُّ مُكثّه في هذا الجو بمقدار طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فإذا طلعت الشمس صار الظلُّ مقبوضًا، وخلفه في هذا الجو شعاعُ الشمس، فأشرق على الأرض وعلى الأشياء إلى وقت غروبها، فإذا غربت فليس هناك ظلّ، إنما ذلك بقيةُ نورِ النهار. وقال قوم: قبضه بغروب الشمس؛ لأنها ما لم تغرب؛ فالظلُّ فيه بقية، وإنما يتيمُّ زواله بمجيء الليل ودخولِ الظلّمة عليه. وقيل: إنّ هذا القبض وقع بالشمس؛ لأنها إذا طلعت أخذ الظل في الذهاب شيئاً فشيئاً؛ قاله أبو مالك وإبراهيم التيمي. وقيل: «ثُمَّ قَبْضَنَا» أي: قبضنا ضياءَ الشمس بالفيء «قَبْضًا يَسِيرًا». وقيل: «يَسِيرًا» أي: سريعاً^(٤)، قاله الضحاك. قتادة^(٥): خفيًا؛ أي: إذا غابت الشمس قبض الظلُّ قبضاً خفيًا؛ كلما قبض جزءٌ منه جعل مكانه جزءً من الظلّمة، وليس يزول دفعة واحدة. فهذا معنى قولِ قتادة؛ وهو قول مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ ﴿٤٧﴾

فيه أربع مسائل:

(١) تفسير البغوي ٣/ ٣٧٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) في النكت والعيون ٤/ ١٤٧ عن أبي مالك بنحوه.

(٤) أخرجه الطبري ١٧/ ٤٦٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) في (د): قال الضحاك وقاتادة. والأثر أخرجه الطبري ١٧/ ٤٦٥ عن مجاهد وابن جريج.

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلَابَاسًا﴾ يعني سترًا للخلق يقوم مقام اللباس في ستر البدن. قال الطبري^(١): وصف الليل باللباس تشبيهاً من حيث يستر الأشياء ويغشاها.

الثانية: قال ابن العربي: ظنَّ بعضُ العَفَلَةِ أنَّ مَنْ صلى عُريَاناً في الظلام أنه يُجزئُه؛ لأنَّ الليل لباس. وهذا يوجب أن يصلي في بيته عرياناً إذا أغلق عليه بابُه. والستْرُ في الصلاة^(٢) عبادةٌ تختصُّ بها، ليست لأجل نظرِ الناس. ولا حاجةٌ إلى الإطناب في هذا.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ أي: راحةً لأبدانكم بانقطاعكم عن الأشغال. وأصلُ السُّبَاتِ من التمدُّد^(٣). يقال: سبتت المرأةُ شعرها، أي: نقضته وأرسلته. ورجل مسبوت، أي: ممدودُ الخِلقة. وقيل للنوم: سبات؛ لأنه بالتمدد يكون، وفي التمدد معنى الراحة. وقيل: السبت: القطع^(٤)؛ فالنوم انقطاعٌ عن الاشتغال، ومنه: سبتُ اليهود؛ لانقطاعهم عن الأعمال فيه. وقيل: السبت: الإقامة في المكان؛ فكأن السُّبَاتَ سكونٌ ما وثبوتٌ عليه^(٥)؛ فالنوم سُبَاتٌ على معنى أنه سكونٌ عن الاضطراب والحركة. وقال الخليل^(٦): السُّبَاتُ نومٌ ثقيل، أي: جعلنا نومكم ثقيلاً ليكمل الإجمام والراحة.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ من الانتشار للمعاش، أي: النهار سبب الإحياء للانتشار. شبه اليقظة فيه بتطابق الإحياء مع الإمامة^(٧). وكان عليه الصلاة

(١) في تفسيره ١٧/٤٦٥-٦٦٦، ونقله المصنف عنه بواسطة المحرر الوجيز ٤/٢١٢.

(٢) في النسخ: الظلام، والمثبت من أحكام القرآن ٣/١٤٠٣، والكلام منه.

(٣) تفسير غريب القرآن ص ٣١٣.

(٤) تفسير البغوي ٣/٣٧١.

(٥) المحرر الوجيز ٤/٢١٢.

(٦) في العين ٧/٢٣٨.

(٧) المحرر الوجيز ٤/٢١٢.

والسلام إذا أصبح قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ ﴿٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ تقدم في «الأعراف» مستوفى^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾.

فيه خمسة عشرة مسألة:

الأولى: قوله تعالى: ﴿مَاءً طَهُورًا﴾ يُتَطَهَّرُ به؛ كما يقال: وَضوءٌ؛ للماء الذي يُتَوَضَّأُ به. وكلُّ طَهُورٍ طاهرٌ، وليس كلُّ طاهرٍ طَهُورًا^(٣). فالطهور بفتح الطاء؛ الاسم، وكذلك الوضوءُ والوقود، وبالضم: المصدر، وهذا هو المعروف في اللغة؛ قاله ابنُ الأنباري، فبيّن أن الماء المنزل من السماء طاهرٌ في نفسه مطهّرٌ لغيره، فإن الطهور بناءً مبالغةً في طاهر، وهذه المبالغة اقتضت أن يكون طاهرًا مُطَهَّرًا. وإلى هذا ذهب الجمهور.

وقيل: إن «طَهُورًا» بمعنى طاهر، وهو قول أبي حنيفة، وتعلّق بقوله تعالى:

﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] يعني طاهرًا. ويقول^(٤) الشاعر:

خليلي هل في^(٥) نظرة بعد توبة أدأوي بها قلبي عليّ فُجُورُ

(١) روي عن حذيفة وأبي ذر والبراء ؓ؛ فحديث حذيفة أخرجه أحمد (٢٣٣٩١)، والبخاري (٦٣١٢)، وحديث أبي ذر أخرجه أحمد (٢١٣٦٦)، والبخاري (٦٣٢٥)، وحديث البراء أخرجه أحمد (١٨٦٠٣)، ومسلم (٢٧١١).

(٢) ٢٥٢/٩.

(٣) تهذيب اللغة ٣٩/١٣.

(٤) في (د) و(ف) و(م): ويقول، وهي مهمله في (ز)، وفي أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٤٠٤ (والكلام منه): وقال. والمثبت من (ظ).

(٥) في (ظ): من.

إلى رُجِحِ الأَكْفَالِ غِيْدٍ مِنَ الطَّبَا^(١) عَذَابِ الثَّنَائِيَا رِيْقُهُنَّ ظُهُورُ^(٢)
فَوَصَفَ الرِّيْقَ بأنه ظُهُورٌ، وليس بمطَهَّرٍ. وتقول العرب: رجلٌ نَوُومٌ، وليس ذلك
بمعنى أنه مُنِيْمٌ لغيره، وإنما يرجع ذلك إلى فعلٍ نَفَسِه.

ولقد أجاب علماؤنا عن هذا، فقالوا: وَصَفَ شرَابِ الْجَنَّةِ بأنه ظُهُورٌ يفيد
التطهيرَ عن أَوْضَارِ الذُّنُوبِ^(٣) وعن خَسَائِسِ الصِّفَاتِ، كَالْغِلِّ وَالْحَسَدِ، فإذا شربوا
هذا الشرابَ، يَطَهَّرَهُمُ اللهُ مِنْ رَحْضِ الذُّنُوبِ وَأَوْضَارِ الْاِعْتِقَادَاتِ الذَّمِيمَةِ، فجاؤوا
اللهَ بقلب سليم، ودخلوا الجنةَ بصفات التسليم، وقيل لهم حينئذ: ﴿سَلِّمُوا عَلَيْنَا مِمَّا
كُنْتُمْ بِالْأُولَى مُخْلِئِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]. ولما كَانَ حَكْمُهُ فِي الدُّنْيَا بِزَوَالِ حَكْمِ الْحَدِيثِ
بِجَرِيَانِ الْمَاءِ عَلَى الْأَعْضَاءِ، كَانَتْ تِلْكَ حَكْمَتُهُ وَرَحْمَتُهُ^(٤) فِي الْآخِرَةِ. وأما قول
الشاعر:

... رِيْقُهُنَّ ظُهُورٌ

فإنه قصد بذلك المبالغة في وصف الرِّيْقِ بِالظُّهُورِيَّةِ، لِعَذُوبَتِهِ وَتَعَلُّقِهِ بِالْقُلُوبِ،
وَطِيْبِهِ فِي النُّفُوسِ، وَسُكُونِ غَلِيْلِ الْمَحَبِّ بِرَشْفِهِ حَتَّى كَانَهُ الْمَاءُ الظُّهُورِ. وبالجمله
فإنَّ الأحكام الشرعية لا تثبت بالمجازات الشعرية؛ فإنَّ الشعراء يتجاوزون في
الاستغراق حدَّ الصِّدْقِ إِلَى الكذب، ويسترسلون في القول حتى يُخْرِجَهُمْ ذَلِكَ إِلَى
البدعة والمعصية، وربَّما وقعوا في الكفر من حيث لا يشعرون. ألا ترى إلى قول

(١) في المصادر: هيفٌ خصوصاً. وقوله: رُجِحِ، هو جمع: رَجَّحَ ورَاجِحٌ، وهي ثقيلة العجيزة من
النسوة. والأكفال: جمع كَفَلٌ، وهو العجز. والظبي الأغيد: الذي مالت عنقه ولانت أعطافه. اللسان
(رجح) (كفل) (غيد).

(٢) ذكر أبو علي القالي في الأمالي ١/١٨٣: البيتين ضمن قصيدة، ونقل عن ابن الأنباري أنها لجميل بن
معمر العُدري ثم قال أبو علي: وليست هذه الأبيات في شعر جميل. اهـ. والبيت الثاني في اللسان
(رجح) دون نسبة.

(٣) أَوْضَارٌ، جمع وَضْرٌ، وهو الوسخ من الدسم أو غيره.

(٤) قوله: وَرَحْمَتُهُ، ليس في (م).

بعضهم:

ولو لم تلامس صفحة الأرض رجلاًها
لما كنت أدري علّة للتيّم
وهذا كفر صراح، نعوذ بالله منه.

قال القاضي أبو بكر بن العربي^(١): هذا منتهى لباب كلام العلماء، وهو بالغ في فنه؛ إلا أنني تأملت من طريق العربية، فوجدت فيه مطلعاً مشرفاً^(٢)، وهو أن بناء فعول للمبالغة، إلا أن المبالغة قد تكون في الفعل المتعدي كما قال الشاعر^(٣):

صُروِبٌ بنصل السيفِ سَوْقِ سِمَانِهَا

وقد تكون في الفعل القاصر، كما قال الشاعر:

نُؤُومِ الضُّحَا لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضُلِ^(٤)

وإنما تؤخذ طهورية الماء لغيره من الحسن نظافة، ومن الشرع طهارة؛ كقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يقبل الله صلاةً بغير طهور»^(٥). وأجمعت الأمة لغةً وشريعةً على أن وصف «طهور» يختص بالماء، ولا يتعدى إلى سائر المائعات، وهي طاهرة؛ فكان اقتصارهم بذلك على الماء أدلّ دليل على أن الطهور هو المطهر. وقد يأتي فعولٌ لوجه آخر ليس من هذا كُله، وهو العبارة به عن الآلة للفعل، لا عن الفعل، كقولنا: وَقُودٌ وَسُحُورٌ، بفتح الفاء^(٦)، فإنها عبارة عن الحطب والطعام^(٧) المتسحر

(١) في أحكام القرآن ٣/١٤٠٤-١٤٠٦، وما قبله منه.

(٢) في (د) و (م): مشرفاً، وفي أحكام القرآن: شريفاً.

(٣) هو أبو طالب، وسلف البيت بتمامه ١١٩/٥.

(٤) هذا عجز بيت من معلقة امرئ القيس، وهو في ديوانه ص ١٧، وجاء أيضاً في ديوان كثير عزة، وسلف ص ٣٦٢ من هذا الجزء.

(٥) سلف ٣٦٦/٧.

(٦) يعني فاء «فَعُولٌ»، ووقع في (ظ): بفتح الواو والسين بدل قوله: بفتح الفاء.

(٧) في (د): المطعم، وفي (ظ) و (م): الطعم، وفي (ف): المطعم. والمثبت من (ز)، وهو الموافق لما في أحكام القرآن، وما سيرد بين حاصرتين منه.

به؛ فوصف الماء بأنه ظهور - بفتح الطاء - أيضاً يكون خيراً عن الآلة التي يُطهَّر بها. فإذا ضُمَّت الفاء في الوقود والسحور والظهور؛ عاد إلى الفعل وكان خيراً عنه. فثبت بهذا أن اسم الفاعول - بفتح الفاء - يكون بناءً للمبالغة، ويكون خيراً عن الآلة، وهو الذي خطر ببال الحنفيَّة، ولكن قصرت أشداقها عن لوكه، وبعد هذا يقف البيان [به] عن المبالغة، وعن الآلة على الدليل، فقوله^(١) تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾، وقوله عليه الصلاة والسلام: «جُعِلت لي الأرض مسجداً وظهوراً»^(٢) يحتمل المبالغة، ويحتمل العبارة به عن الآلة؛ فلا حُجَّة فيه لعلمائنا، لكن يبقى قوله: «لِيُطَهَّرَكُم بِهِ» نصّاً في أن فعله يتعدى إلى غيره.

الثانية: المياهُ المنزلة من السماء والمودعة في الأرض طاهرة مطهَّرة، على اختلاف ألوانها وطوعومها وأرياحها، حتى يخالطها غيرها. والمخالط للماء على ثلاثة أضرب:

ضرب يوافقه في صفتيه جميعاً [وهي: الطهارة، والتطهير]، فإذا خالطه فغيَّره لم يسلبه وصفاً منهما، لموافقته لهما، وهو التراب.

والضرب الثاني يوافقه في إحدى صفتيه، وهي الطهارة، فإذا خالطه فغيَّره؛ سلبه ما خالفه فيه، وهو التطهير، كماء الورد وسائر الطاهرات.

والضرب الثالث يخالفه في الصفتين جميعاً، فإذا خالطه فغيَّره؛ سلبه الصفتين جميعاً؛ لمخالفته له^(٣) فيهما، وهو النَّجَس.

الثالثة: ذهب المِصرِّيُّون من أصحاب مالكٍ إلى أن قليل الماء يفسده قليل النجاسة، وأن الكثير لا يفسده إلا ما غيَّر لونه أو طعمه أو ريحه من المحرّمات. ولم

(١) في (م): بقوله.

(٢) سلف ٢/٢٨٣.

(٣) في النسخ الخطية: لهما، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في أحكام القرآن ٣/١٤٠٧، وما سلف بين حاصرتين منه.

يَحَدُّوا بَيْنَ الْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ حَدًّا يَوْقُفُ عِنْدَهُ، إِلَّا أَنَّ ابْنَ الْقَاسِمِ رَوَى عَنْ مَالِكٍ فِي الْجُنُبِ يَغْتَسِلُ فِي حَوْضٍ مِنَ الْحِيَاضِ الَّتِي تُسْقَى فِيهَا الدَّوَابُّ، وَلَمْ يَكُنْ غَسَلَ مَا بِهِ مِنَ الْأَذَى، أَنَّهُ قَدْ أَفْسَدَ الْمَاءَ، وَهُوَ مَذْهَبُ ابْنِ الْقَاسِمِ وَأَشْهَبُ وَابْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ، إِلَّا ابْنَ وَهَبٍ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ فِي الْمَاءِ بِقَوْلِ الْمَدِينِيِّينَ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ. وَقَوْلُهُمْ مَا حَكَاهُ أَبُو مَصْعَبٍ عَنْهُمْ وَعَنْهُ^(١): أَنَّ الْمَاءَ لَا تُفْسِدُهُ النِّجَاسَةُ الْحَالَّةُ فِيهِ قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا، إِلَّا أَنْ تَظْهَرَ فِيهِ النِّجَاسَةُ^(٢) وَتَغَيَّرَ مِنْهُ طَعْمًا أَوْ رِيحًا أَوْ لَوْنًا. وَذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ الْمَعْدَلِ أَنَّ هَذَا قَوْلُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِي الْمَاءِ. وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ بُكَيْرٍ وَأَبُو الْفَرَجِ وَالْأَبْهَرِيُّ^(٣) وَسَائِرُ الْمُتَحَلِّينَ لِمَذْهَبِ مَالِكٍ مِنَ الْبَغْدَادِيِّينَ؛ وَهُوَ قَوْلُ الْأَوْزَاعِيِّ وَاللَيْثِ بْنِ سَعْدٍ وَالْحَسَنِ بْنِ صَالِحٍ وَدَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ. وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَهُوَ الصَّحِيحُ فِي النَّظَرِ وَجَيِّدُ الْأَثَرِ.

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: إِذَا وَقَعَتْ نِجَاسَةٌ فِي الْمَاءِ، أَفْسَدَتْهُ كَثِيرًا كَانَ أَوْ قَلِيلًا، إِذَا تَحَقَّقَتْ عَمُومُ النِّجَاسَةِ فِيهِ. وَوَجْهٌ تَحَقُّقُهَا عِنْدَهُ أَنْ تَقَعَ مِثْلًا نَقْطَةً بَوْلٍ فِي بَرَكَةٍ، فَإِنْ كَانَتْ الْبَرَكَةُ يَتَحَرَّكُ طَرَفَاهَا بِتَحَرُّكِ أَحَدِهِمَا، فَالْكُلُّ نَجَسٌ، وَإِنْ كَانَتْ حَرَكَةٌ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ لَا تَحَرُّكُ الْآخَرَ لَمْ يَنْجَسْ. وَفِي «الْمَجْمُوعَةِ» نَحْوُ مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ بِحَدِيثِ الْقَلْتَيْنِ، وَهُوَ حَدِيثٌ مَطْعُونٌ فِيهِ؛ اخْتَلَفَ فِي إِسْنَادِهِ وَمَتْنِهِ؛ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَخَاصَّةُ الدَّارَقُطْنِيِّ، فَإِنَّهُ صَدَّرَ بِهِ كِتَابَهُ وَجَمَعَ طَرِقَهُ^(٤).

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ^(٥): وَقَدْ رَامَ الدَّارَقُطْنِيُّ عَلَى إِمَامَتِهِ أَنْ يَصْحَحَ حَدِيثَ الْقَلْتَيْنِ فَلَمْ

يَقْدِرَ.

(١) فِي التَّمْهِيدِ ١/٣٢٧ (وَالكَلَامُ مِنْهُ): وَعَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ.

(٢) فِي (م) زِيَادَةٌ: الْحَالَةُ فِيهِ.

(٣) فِي النِّسْخِ: أَبُو الْفَرَجِ الْأَبْهَرِيُّ، وَهُوَ خَطَأً.

(٤) سَنَنَ أَبِي دَاوُدَ (٦٣) وَ (٦٤) وَ (٦٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٦٧)، وَالدَّارَقُطْنِيُّ (١) - (٢٩) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَهُوَ عِنْدَ أَحْمَدَ (٤٦٠٥)، وَالنَّسَائِيَّ ١/٤٦، وَابْنَ مَاجَةَ (٥١٧).

(٥) فِي أَحْكَامِ الْقُرْآنِ ٣/١٤٠٨، وَمَا قَبْلَهُ مِنْهُ.

وقال أبو عمر بن عبد البر^(١): وأما ما ذهب إليه الشافعي من حديث القلتين، فمذهبٌ ضعيف من جهة النظر، غيرُ ثابتٍ في الأثر؛ لأنه قد تكلم فيه جماعةٌ من أهل العلم بالنقل، ولأنَّ القلتين لا يوقف على حقيقة مبلِغهما في أثرٍ ثابت ولا إجماع، فلو كان ذلك حدًّا لازماً. لوجب على العلماء البحث عنه؛ ليقفوا على حدِّ ما حدَّه النبي ﷺ؛ لأنه من أصل دينهم وفرضهم، ولو كان ذلك كذلك ما ضيعوه، فلقد بحثوا عما هو أدون من ذلك وألطف.

قلت: وفيما ذكر ابنُ المنذر^(٢) في القلتين من الخلاف يدلُّ على عدم التوقيف فيهما والتحديد.

وفي سنن الدارقطني^(٣): عن حماد بن زيد، عن عاصم بن المنذر قال: القِلالُ: الخوابي العظام. وعاصمٌ هذا هو أحدُ رواة حديث القلتين. ويظهر من قول الدارقطني أنها مثلُ قِلال هَجْر؛ لسياقه حديث الإسراءِ عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «لَمَّا رُفِعَتْ إلى سِدرة المنتهى في السماء السابعة، نَبَّهَهَا مثلُ قِلال هَجْر، وورقُها مثلُ آذانِ الفَيْلَةِ»^(٤) وذكر الحديث.

قال ابن العربي^(٥): وتعلَّق علماؤنا بحديث أبي سعيد الخدري في بئر بُضاعة، رواه النسائي والترمذي وأبو داود وغيرهم^(٦). وهو أيضاً حديثٌ ضعيف لا قدَّم له في الصَّحَّة، فلا تعويلَ عليه.

(١) في التمهيد ١/٣٣٥.

(٢) في الأوسط ١/٢٦١-٢٦٣.

(٣) برقم (٣١).

(٤) سنن الدارقطني (٣٣). وهو عند أحمد (١٢٦٧٣). والنَّبِيُّ بفتح النون وكسر الباء، وقد تسكن: ثمر السدُر. النهاية (نق).

(٥) في أحكام القرآن ٣/١٤٠٨.

(٦) سنن النسائي ١/١٧٤، والترمذي (٦٦)، وأبي داود (٦٦) و (٦٧). وهو عند أحمد (١١١١٩). قال الترمذي: هذا حديث حسن. وبُضاعة: هي بئر معروفة بالمدينة، والمحفوظ ضم الباء، وأجاز بعضهم كسرها. النهاية (بضع).

وقد فاوضت الطوسي الأكبر^(١) في هذه المسألة فقال: إنَّ أخلص المذاهب في هذه المسألة مذهب مالك؛ فإنَّ الماء ظهوراً ما لم يتغيَّر أحدُ أوصافه؛ إذ لا حديث في الباب يُعوَّل عليه، وإنما المعوَّل على ظاهر القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾، وهو ماء^(٢) بصفاته، فإذا تغيَّر عن شيء منها؛ خرج عن الاسم؛ لخروجه عن الصفة، ولذلك لما لم يجد البخاريُّ إمامَ الحديث والفقهِ في الباب خبراً يعوَّل عليه، قال: باب إذا تغيَّر وصفُ الماء، وأدخل الحديث الصحيح: «ما من أحدٍ يُكلِّم في سبيل اللهِ - واللَّهُ أعلمُ بمن يُكلِّم في سبيله - إلَّا جاء يومَ القيامة وجرحه يثعبُ دماً، اللونُ لون الدم، والرَّيحُ ريح المسك»^(٣). فأخبر ﷺ أنَّ الدَّم بحاله وعليه رائحةُ المسك، ولم تُخرجه الرائحةُ عن صفةِ الدَّمويَّة. ولذلك قال علماؤنا: إذا تغيَّر الماء بريح جيفةٍ على طرفه وساحله، لم يمنع ذلك الوضوء منه. ولو تغيَّر بها وقد وُضعت^(٤) فيه، لكان ذلك تنجيساً له للمخالطة، والأول^(٥) مجاورةٌ [لا تعويل عليها].

قلت: وقد استدلَّ به أيضاً على نقيض ذلك، وهو أنَّ تغيَّر الرائحة يُخرجه عن أصله. ووجهُ هذا الاستدلالِ أنَّ الدَّم لما استحالت رائحتهُ إلى رائحة المسك، خرج عن كونه مستخبثاً نجساً، وأنه صار مسكاً، وإنَّ المسك بعضُ دم الغزال^(٦). فكذلك الماء إذا تغيَّرت رائحته. وإلى هذا التأويل ذهب الجمهورُ في الماء. وإلى الأول ذهب عبدُ الملك.

(١) هو الإمام الغزالي، وينظر الإحياء ١٢٩/١.

(٢) في (م): ما دام. والمثبت من النسخ الخطية، وهو الموافق لما في أحكام القرآن.

(٣) صحيح البخاري (٢٣٧) وهو من حديث أبي هريرة ؓ (باب ما يقع من النجاسات في السمن والماء). وليس فيه لفظ الباب الذي ذكره المصنف، ولعله في نسخ المغاربة. وأخرجه أحمد (٧٣٠٢)، ومسلم (١٨٧٦): (١٠٥). وقوله: يشعب، أي: ينفجر. التمهيد ١٩/١٤.

(٤) في أحكام القرآن: وقعت.

(٥) في أحكام القرآن: والأولى. وما بين حاصرتين منه.

(٦) ينظر إكمال المعلم ٢٩٤/٦. وقوله: وإن المسك بعض دم الغزال، هو تضمين لبیت المتنبی، وصدرة: فإن تُقِّق الأنام وأنت منهم، وهو في ديوانه ١٥١/٣.

قال أبو عمر^(١): جعلوا الحكم للرائحة دون اللون، فكان الحكم لها، فاستدلوا عليها في زعمهم بهذا الحديث. وهذا لا يفهم منه معنى تسكن إليه النفس، ولا في الدم معنى الماء فيقاس عليه، ولا يشتغل بمثل هذا الفقهاء، وليس من شأن أهل العلم اللغو^(٢) به وإشكاله؛ وإنما شأنهم إيضاحه وبيانه، ولذلك أخذ الميثاق عليهم لبيئته للناس ولا يكتمونونه، والماء لا يخلو تغيره بنجاسة أو بغير نجاسة، فإن كان بنجاسة وتغير، فقد أجمع العلماء على أنه غير طاهر ولا مطهر، وكذلك أجمعوا أنه إذا تغير بغير نجاسة أنه طاهر على أصله. وقال الجمهور: إنه غير مطهر إلا أن يكون تغيره من تربة وحماة. وما أجمعوا عليه فهو الحق الذي لا إشكال فيه، ولا التباس معه.

الرابعة: الماء المتغير بقرارة^(٣)، كزرنوخ أو جبري يجري عليه، أو تغير بطحلب أو ورق شجر ينبت عليه لا يمكن الاحتراز منه؛ فاتفق العلماء أن ذلك لا يمنع الوضوء به؛ لعدم الاحتراز منه والانفكاك عنه، وقد روى ابن وهب عن مالك أن غيره أولى منه^(٤).

الخامسة: قال علماؤنا رحمة الله عليهم: ويكره سؤر النصراني وسائر الكفار والمدمن خمرأ، وما أكل الجيف؛ كالكلاب وغيرها. ومن توضأ بسؤرهم^(٥) فلا شيء عليه حتى يستيقن النجاسة.

قال البخاري^(٦): وتوضأ عمر رضي الله عنه من بيت نصرانية.

ذكر سفيان ابن عيينة قال: حدثونا عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: لما كنا بالشام أتيت عمر بن الخطاب بماء، فتوضأ منه فقال: من أين جئت بهذا الماء؟ ما رأيت ماء

(١) في التمهيد ١٩/١٥-١٦.

(٢) في (ز) والتمهيد: اللغو.

(٣) القرارة (بالضم) هي في الأصل: ما يلزق بأسفل القدر من شيء. ينظر القاموس (قر).

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٤٠٩.

(٥) في للكافي ١/١٥٧ (والكلام منه): بسؤرها.

(٦) في صحيحه قبل الحديث (١٩٣). وسلف الأثر ٧/٣١٩.

عذبا؛ ولا ماء سماءٍ أطيّب منه. قال: قلت: جئتُ به من بيت هذه العجوزِ النصرانية؛ فلما توضأَ أتاها فقال: أيتها العجوز! أسلمي تسلمي، بعث الله محمداً ﷺ بالحق. قال: فكشفت عن رأسها؛ فإذا مثلُ الثَّغامة، فقالت: عجوزٌ كبيرة، وإنما أموت الآن! فقال عمر ﷺ: اللهم اشهد. خرَّجه الدَّارَقُطْنِي^(١): حدَّثنا الحسين بنُ إسماعيل قال: حدَّثنا أحمد بنُ إبراهيم البُوشَنجِي قال: حدَّثنا سفيان، فذكره. ورواه أيضاً عن الحسين بن إسماعيل قال: حدَّثنا خلاد بنُ أسلم، حدَّثنا سفيان، عن زيد بن أسلم، عن أبيه: أنَّ عمر بنَ الخطاب ﷺ توضأَ من بيتِ نصرانية أتاها، فقال: أيتها العجوزُ أسلمي.. وذكر الحديث^(٢) بمثل ما تقدّم.

السادسة: فأما الكلبُ إذا ولغ في الماء، فقال مالك: يُغسل الإناء سبعاً ولا يتوضأ منه، وهو طاهر. وقال الثوري: يتوضأ بذلك الماء ويُتيمم معه. وهو قولُ عبد الملك بن عبد العزيز ومحمد بن مسلمة. وقال أبو حنيفة: الكلبُ نجس، ويغسل الإناء منه لأنه نجس. وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق^(٣).

وقد كان مالكٌ يفرِّق بين ما يجوز اتِّخاذه من الكلاب وبين ما لا يجوز اتِّخاذه منها في غسل الإناء من ولوغه. وتحصيلُ مذهبه أنه طاهرٌ عنده، لا ينجس ولوغهُ شيئاً ولغ فيه، طعاماً ولا غيره، إلا أنه استحبَّ هِرَاقَةَ ما ولغ فيه من الماء لِيَسَارَةَ^(٤) مؤنثه. وكتبُ البادية والحاضرة سواء. ويُغسل الإناء منه على كل حالٍ سبعاً تعبداً. هذا ما استقرَّ عليه مذهبه عند المناظرين من أصحابه^(٥).

ذكر ابنُ وهب قال: حدَّثنا عبد الرحمن بنُ زيد بنِ أسلم، عن أبيه، عن عطاء، عن أبي هريرة قال: سئل رسولُ الله ﷺ عن الحياض التي تكون فيما بين مكة

(١) في سننه (٦٣). والثغامة: نبت أبيض الزهر والثمر، يشبه به الشيب. وقيل: هي شجرة تبيضُ كأنها الثلج. النهاية (ثعم).

(٢) سنن الدارقطني (٦٤).

(٣) ينظر الأوسط ٣٠٦/١-٣٠٧، والتمهيد ٢٦٩/١٨-٢٧١.

(٤) في (ظ): إلا لعسارة.

(٥) الكافي ١٥٨/١.

والمدينة، فقيل له: إنَّ الكلاب والسباع تَرِدُ عليها. فقال: «لها ما أخذت في بطونها، ولنا ما بقي شرابٌ وظهور» أخرجهُ الدَّارَقُطْنِيّ^(١). وهذا نصٌّ في طهارة الكلابِ وطهارة ما تَلِغ فيه.

وفي البخاري^(٢) عن ابن عمر: أنَّ الكلاب كانت تُقبِل وتدبر في مسجد رسولِ الله ﷺ، ولا يرشُّون شيئاً من ذلك.

وقال عمر بحضرة الصحابة لصاحب الحوض الذي سأله عمرو بن العاص: هل تَرِدُ حوضك السباع؟ فقال عمر: يا صاحبَ الحوض، لا تُخْبِرنا، فإنَّا نَرِدُ على السباع وترد علينا. أخرجهُ مالكٌ والدَّارَقُطْنِيّ^(٣). ولم يفرِّق بين السباع، والكلب من جملتها، ولا حُجَّةَ للمخالف في الأمر بإراقة ما ولغ فيه^(٤) وأنَّ ذلك للنجاسة، وإنما أمر بإراقة لأنَّ النفسَ تعافى، لا لنجاسته؛ لأنَّ التنزُّه من الأقدار مندوبٌ إليه، أو تغليظاً عليهم؛ لأنهم نُهوا عن اقتنائها^(٥)، كما قاله ابنُ عمر^(٦) والحسن؛ فلما لم ينتهوا عن ذلك غلظَ عليهم في الماء، لِقَلَّتْ عندهم في البادية، حتى يشتدَّ عليهم فيمتنعوا من اقتنائها.

وأما الأمرُ بغسل الإناء فعبادةٌ؛ لا لنجاسته كما ذكرناه، بدليلين: أحدهما: أنَّ الغسل قد دخله العدد. الثاني: أنه جُعِلَ للتراب فيه مدخل؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «وعفُّوه الثامنة بالتراب». ولو كان للنجاسة لما كان للعدد ولا للتراب فيه

(١) في سننه (٥٦). ورواه أيضاً عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بالإسناد نفسه، وجعله من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، كما هو عند ابن ماجه (٥١٩)، والبيهقي ٢٥٨/١. قال البيهقي: وعبد الرحمن بن زيد ضعيف، لا يحتج بأمثاله.

(٢) برقم (١٧٤) تعليقا. ووصله أحمد (٥٣٨٩)، وأبو داود (٣٨٢).

(٣) الموطأ ٢٣/١-٢٤، وسنن الدارقطني (٦٢).

(٤) يشير إلى حديث أبي هريرة ﷺ فيما أخرجهُ مسلم (٢٧٩): (٨٩) ولفظه: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه، ثم ليغسله سبع مراراً».

(٥) سلف ٣١٢/٧.

(٦) ينظر الاستذكار ١٩٣/٢٧.

مدخل، كالبول^(١). وقد جعل ﷻ الهَرَّ وما ولغ فيه طاهراً^(٢)، والهَرُّ سَبْعٌ لا خلاف في ذلك؛ لأنه يفترس ويأكل المَيْتَةَ؛ فكذلك الكلبُ وما كان مثله من السَّبَاعِ؛ لأنه إذا جاء نَصْرٌ في أحدهما كان نَصْرًا في الآخر. وهذا من أقوى أنواع القياس. هذا لو لم يكن هناك دليل؛ وقد ذكرنا النصَّ على طهارته، فسقط قولُ المخالف. والحمدُ لله.

السابعة: ما مات في الماء ممَّا لا دمَ له، فلا يضرُّ الماءَ إن لم يغيِّر رِيحَه؛ فإنَّ أنتنَ لم يُتوضأَ به. وكذلك ما كان له دمٌ سائل من دوابِّ الماء، كالحيوات والضفدع، لم يُفسد ذلك الماءَ موته فيه؛ إلا أن تتغيَّر رائحته، فإن تغيَّرت رائحته وأنتن، لم يجز التطهُّرُ به ولا الوضوءُ منه، وليس بنجسٍ عند مالك. وأما ماله نفْسٌ سائلة فمات في الماء وتُزح مكانه، ولم يغيِّر لونه ولا طعمه ولا رِيحَه، فهو طاهرٌ مطهَّر، سواء كان الماء قليلاً أو كثيراً عند المدنيين. واستحبَّ بعضهم أن يُنزحَ من ذلك الماءِ دِلاءً لتطيبِ النفسِ به، ولا يحدُّون في ذلك حدًّا لا يتعدَّى. ويكرهون استعمالَ ذلك الماءِ قبل نزحِ الدِّلاءِ، فإن استعمله أحدٌ في غسلٍ أو وضوءٍ، جاز إذا كانت حاله ما وصفنا. وقد كان بعضُ أصحاب مالكٍ يرى لمن توضَّأَ بهذا الماءِ وإن لم يغيِّر أن يتيمم، فيجمع بين الطهارتين احتياطاً، فإن لم يفعل وصلَّى بذلك الماءِ أجزاءه^(٣).

وروى الدارقطني عن محمد بن سيرين أن زنجياً وقع في زمزم - يعني فمات - فأمر به ابنُ عباسٍ ﷻ فأخرج، فأمر بها أن تُنزح. قال: فغلبتهم عينٌ جاءتهم من الرُّكن، فأمر بها فدُسيمت بالقباطيِّ والمطارف حتى نزحوها، فلما نزحوها انفجرت عليهم^(٤). وأخرجه^(٥) عن أبي الطفيل أن غلاماً وقع في بئر زمزم فنزحت. وهذا

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٤١٠-١٤١١. والحديث أخرجه أحمد (١٦٧٩٢)، ومسلم (٢٨٠) من حديث عبد الله بن مغفل ﷺ.

(٢) سيأتي في المسألة الثامنة.

(٣) الكافي ١/١٥٦-١٥٨.

(٤) سنن الدارقطني (٦٥)، وأخرجه البيهقي ١/٢٦٦ وقال: هذا بلاغ؛ فإن محمد بن سيرين لم يلق ابن عباس رضي الله عنهما ولم يسمع منه. اهـ. وقوله: دُسيمت، أي: سُدت. والقباطي: جمع قُبْطية: وهو الثوب من ثياب مصر، رقيقة بيضاء. والمطارف: جمع مطرف: وهو الثوب الذي في طرفيه علمان. النهاية (قبط) (طرف).

(٥) سنن الدارقطني (٦٦)، وفيه جابر الجعفي، قال البيهقي في السنن ١/٢٦٦: لا يحتج به.

يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَاءُ تَغَيَّرَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وروى شعبة عن مغيرة، عن إبراهيم أنه كان يقول: كُلُّ نَفْسٍ سَائِلَةٌ لَا يُتَوَضَّأُ مِنْهَا، وَلَكِنْ رَخِصَ فِي الْخُنْفَسَاءِ وَالْعَقْرَبِ وَالْجِرَادِ وَالْجُدُجِدِ إِذَا وَقَعْنَ فِي الرِّكَاءِ فَلَا بِأَسْ بِهِ. قَالَ شُعْبَةُ: وَأَظْنُهُ قَدْ ذَكَرَ الْوَزْغَةَ. أَخْرَجَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ^(١): حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ: قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، فَذَكَرَهُ.

الثامنة: ذهب الجمهور من الصحابة وفقهاء الأمصار وسائر التابعين بالحجاز والعراق أن ما ولغ فيه الهر من الماء طاهر، وأنه لا بأس بالوضوء بسوره؛ لحديث أبي قتادة، أخرجه مالك وغيره^(٢). وقد روي عن أبي هريرة فيه خلاف. وروي عن عطاء بن أبي رباح وسعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين أنهم أمروا بإراقة ماء ولغ فيه الهر وغسل الإناء منه. واختلف في ذلك عن الحسن. ويحتمل أن يكون الحسن رأى في فمه نجاسة، ليصح مخرج الروايتين عنه^(٣).

قال الترمذي لما ذكر حديث مالك: وفي الباب عن عائشة وأبي هريرة، هذا حديث حسن صحيح، وهو قول أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتابعين ومن بعدهم؛ مثل الشافعي وأحمد وإسحاق، لم يروا بسور الهرة بأساً. وهذا أحسن شيء في الباب، وقد جوّد مالك هذا الحديث عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، ولم يأت به أحد أتم من مالك.

قال الحافظ أبو عمر^(٤): الحجّة عند النزاع والاختلاف سنة رسول الله ﷺ، وقد صحّ من حديث أبي قتادة أنه أصغى لها الإناء حتى شربت. الحديث. وعليه اعتماد

(١) برقم (٦٧). والجُدُجِد: حيوان كالجراد يصوت في الليل. النهاية (جدد).

(٢) الموطأ ١/٢٢-٣٢، وهو عند أحمد (٢٢٥٨٠)، وأبي داود (٧٥)، والترمذي (٩٢)، والنسائي ١/٥٥، وابن ماجه (٣٦٧).

(٣) التمهيد ١/٣٢٣ و ٣٢٤.

(٤) في التمهيد ١/٣٢٤-٣٢٦.

الفقهاء في كل مصر، إلا أبا حنيفة ومَن قال بقوله؛ فإنه كان يكره سؤره. وقال: إن توضأ به أحد أجزاءه، ولا أعلم حُجَّةً لمن كره الوضوء بسؤر الهرة أحسن من أنه لم يبلغه حديثُ أبي قتادة، وبلغه حديثُ أبي هريرة^(١) في الكلب، فقام الهراً عليه، وقد فرقت السنة بينهما في باب التعبد في غسل الإناء، ومَن حجَّته السنة خاصته، وما خالفها مطَّرح. وبالله التوفيق.

وَمِنْ حُجَّتِهِمْ أَيْضاً مَا رَوَاهُ قُرَّةُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «طَهُورُ الْإِنَاءِ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْهَرُّ أَنْ يُغْسَلَ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ» شَكَّ قَرَّةٌ. وَهَذَا الْحَدِيثُ لَمْ يَرْفَعَهُ إِلَّا قَرَّةُ بْنُ خَالِدٍ، وَقَرَّةٌ ثَقَّةٌ ثَبَتَ.

قلت: هذا الحديث أخرجه الدارقطني^(٢)، ومثته: «طهور الإناء إذا ولغ فيه الكلب أن يغسل سبع مرات، الأولى بالتراب، والهرة مرة أو مرتين». قررة شك. قال أبو بكر^(٣): كذا رواه أبو عاصم مرفوعاً، ورواه غيره عن قررة: ولوغ الكلب؛ مرفوعاً، ولوغ الهرة؛ موقوفاً.

وروى أبو صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يُغْسَلُ الْإِنَاءُ مِنَ الْهَرِّ كَمَا يُغْسَلُ مِنَ الْكَلْبِ» قال الدارقطني^(٤): لا يثبت هذا مرفوعاً، والمحمفوظ من قول أبي هريرة، واختلف عنه.

وذكر مَعْمَرُ وَابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ ابْنِ طَاوَسٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ يَجْعَلُ الْهَرَّ مِثْلَ الْكَلْبِ. وَعَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ فِي الْإِنَاءِ يَلْغُ فِيهِ السَّنُورُ؛ قَالَ: إِغْسَلْهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ. قَالَه الدارقطني^(٥).

(١) سلف في المسألة السادسة.

(٢) برقم (٢٠٥).

(٣) هو النيسابوري شيخ الدارقطني.

(٤) عقب الحديث (٢٠٨).

(٥) بسنده عنهما: (٢١٢) (٢١٣).

التاسعة: الماء المستعمل طاهر إذا كانت أعضاء المتوضئ به طاهرة؛ إلا أن مالكا وجماعة من الفقهاء الجلة كانوا يكرهون الوضوء به. وقال مالك: لا خير فيه، ولا أحب لأحد أن يتوضأ به، فإن فعل وصلّى لم أر عليه إعادة الصلاة، ولتوضأ لِمَا يستقبل^(١).

وقال أبو حنيفة والشافعي وأصحابهما: لا يجوز استعماله في رفع الحدث، ومن توضأ به أعاد؛ لأنه ليس بماء مطلق، وتيمّم واجده؛ لأنه ليس بواجد ماء. وقال بقولهم في ذلك أصبغ بن الفرج، وهو قول الأوزاعي. واحتجوا بحديث الصنابحي، خرّجه مالك^(٢)؛ وحديث عمرو بن عبّسة^(٣)، أخرجه مسلم، وغير ذلك من الآثار. وقالوا: الماء إذا توضئ به خرجت الخطايا معه؛ فوجب التنزّه عنه؛ لأنه ماء الذنوب. قال أبو عمر^(٤): وهذا عندي لا وجه له؛ لأن الذنوب لا تنجس الماء، لأنها لا أشخاص لها، ولا أجسام تمازج الماء فتفسده، وإنما معنى قوله: «خرجت الخطايا مع الماء» إعلام منه بأن الوضوء للصلاة عمل يكفر الله به السيئات عن عباده المؤمنين؛ رحمة منه بهم وتفضلاً عليهم.

وقال أبو ثور وداود مثل قول مالك، وأنّ الوضوء بالماء المستعمل جائز؛ لأنه ماء طاهر لا ينضاف إليه شيء، وهو ماء مطلق. واحتجوا بإجماع الأمة على طهارته إذا لم يكن في أعضاء المتوضئ نجاسة. وإلى هذا ذهب أبو عبد الله المرّوزي محمد ابن نصر. وروي عن علي بن أبي طالب وابن عمر وأبي أمامة وعطاء بن أبي رباح والحسن البصري والتخمي ومكحول والزّهري أنهم قالوا فيمن نسي مسح رأسه؛

(١) الكافي ١/١٥٨.

(٢) في الموطأ ١/٣١، وقد سلف ٧/٣٤٢ تخريجه والكلام عليه.

(٣) في (د) و (ز) و (م): عبّسة، وهو خطأ. وحديثه عند أحمد (١٧٠١٩)، ومسلم (٨٣٢)، وقد سلف

. ٣٧٠/٧

(٤) في الاستذكار ٢/١٩٧، وما قبله منه.

فوجد في لحيته بَلَلًا: إنه يجزئه أن يمسحَ بذلك البللِ رأسه؛ فهؤلاء كلُّهم أجازوا الوضوءَ بالماء المستعمل^(١).

وروى عبد السلام بن صالح: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سُؤيد، عن العلاء بن زياد، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ مَرَضِيٌّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَيْهِمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ اغْتَسَلَ، وَقَدْ بَقِيَتْ لُمَعَةٌ مِنْ جَسَدِهِ لَمْ يُصِبْهَا الْمَاءُ، فَقَلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ لُمَعَةٌ لَمْ يُصِبْهَا الْمَاءُ؛ فَكَانَ لَهُ شَعْرٌ وَارِدٌ، فَقَالَ بِشَعْرِهِ هَكَذَا عَلَى الْمَكَانِ، فَبَلَّه. أَخْرَجَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ^(٢)، وَقَالَ: عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ صَالِحٍ هَذَا بِصَرِيٍّ، وَلَيْسَ بِقَوِيٍّ، وَغَيْرُهُ مِنَ الثَّقَاتِ يَرَوِيهِ عَنْ إِسْحَاقَ، عَنِ الْعَلَاءِ مَرْسَلًا، وَهُوَ الصَّوَابُ.

قلت: الرواي الثقة عن إسحاق بن سُؤيد العدوي، عن العلاء بن زياد العدوي: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اغْتَسَلَ... الحديث؛ فيما ذَكَرَهُ هُشَيْمٌ^(٣).

قال ابن العربي^(٤): مسألة الماءِ المستعملِ إنما تَنبِيهِ عَلَى أَصْلِ آخَرَ، وَهُوَ أَنَّ الآلَةَ إِذَا أُدِّيَ بِهَا فَرَضٌ؛ هَلْ يُوَدَّى بِهَا فَرَضٌ آخَرُ أَمْ لَا؟ فَمَنْعَ ذَلِكَ الْمَخَالَفَ قِيَاسًا عَلَى الرِّقْبَةِ إِذَا أُدِّيَ بِهَا فَرَضٌ عَتَقَ؛ لَمْ يَصْلُحْ أَنْ يَتَكَرَّرَ^(٥) فِي آدَاءِ فَرَضٍ آخَرَ؛ وَهَذَا بَاطِلٌ مِنَ الْقَوْلِ، فَإِنَّ الْعَتَقَ إِذَا أَتَى عَلَى الرَّقِّ أَتَفَهُ، فَلَا يَبْقَى مَحَلٌّ لِآدَاءِ الْفَرَضِ بِعَتَقِ آخَرَ. وَنَظِيرُهُ مِنَ الْمَاءِ مَا تَلَفَ عَلَى الْأَعْضَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَصِحُّ أَنْ يُوَدَّى بِهِ فَرَضٌ آخَرَ؛ لِتَلَفِ عَيْنِهِ حِسًّا، كَمَا تَلَفَ الرَّقُّ فِي الرِّقْبَةِ بِالْعَتَقِ حِكْمًا، وَهَذَا نَفِيسٌ فَتَأَمَّلُوهُ.

العاشرة: لم يفرِّق مالكٌ وأصحابه بين الماءِ تقع فيه النجاسةُ وبين النجاسةِ يَرِدُ

(١) التمهيد ٤٣/٤ .

(٢) في سننه (٣٨٦) والشعر اليوارد: الطويل المسترسل. القاموس (ورد).

(٣) لفظة: هو، ليست في (د) و(ز)، وفي (م): ذكره، والمثبت، من (ف) و(ظ). وهو خير لقوله: الرواي الثقة...، ورواية هُشَيْمِ المرسلة هي عند الدارقطني (٣٨٧).

(٤) في أحكام القرآن ٣/١٤٠٦-١٤٠٧ .

(٥) في (د): يكون، وفي (ظ) و(ف): تكون، وفي (ز): يكون.

عليها الماء، راكداً كان الماء أو غير راكد؛ لقول رسول الله ﷺ: «الماء لا ينجسه شيء، إلا ما غلب عليه، فغير طعمه أو لونه أو ريحه»^(١).

وفرقت الشافعية فقالوا: إذا وردت النجاسة على الماء تنجس؛ واختاره ابن العربي، وقال^(٢): «من أصول الشريعة في أحكام المياه أن ورود النجاسة على الماء ليس كورود الماء على النجاسة؛ لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح^(٣): «إذا استيقظ أحدكم من نومه، فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً؛ فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده». فمنع من ورود اليد على الماء، وأمر بإيراد الماء عليها، وهذا أصلٌ بديع في الباب، ولولا ورودُه على النجاسة - قليلاً كان أو كثيراً - لَمَا طهرت. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال في بول الأعرابي في المسجد^(٤): «صُبُّوا عليه ذُتُوباً من ماء».

قال شيخنا أبو العباس^(٥): «استدلُّوا أيضاً بحديث القلتين^(٦)، فقالوا: إذا كان الماء دون القلتين فحلَّته نجاسة، تنجس وإن لم يغيَّره، وإن ورد ذلك القدر فأقلُّ على النجاسة فأذهب عينها، بقي الماء على طهارته وأزال النجاسة. وهذه مناقضة، إذ المخالطة قد حصلت في الصورتين، وتفرقهم بورود الماء على النجاسة وورودها عليه فرقٌ صوريٌّ، ليس فيه من الفقه شيء، فليس الباب باب التعبُّدات، بل من باب عقلية المعاني، فإنه من باب إزالة النجاسة وأحكامها. ثم هذا كله منهم يرده قوله عليه

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) في أحكام القرآن ٣/١٤١٢، وينظر المفهم ١/٥٤٤.

(٣) قوله: في الحديث الصحيح ليس في (د) و (ز) و (م). والحديث أخرجه أحمد (٧٢٨٢)، والبخاري (١٦٢)، ومسلم (٢٧٨) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٤) أخرجه أحمد (١٢٠٨٢)، والبخاري (٢٢١)، ومسلم (٢٨٤) و (٢٨٥) من حديث أنس ؓ. وأخرجه أحمد (٧٢٥٥)، والبخاري (٢٢٠) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٥) في المفهم ١/٥٤٤.

(٦) سلف في المسألة الثالثة.

الصلاة والسلام: «الماء ظهورٌ لا ينجسه شيء، إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه».

قلت: هذا الحديث أخرجه الدارقطني عن رشدين بن سعدٍ أبي الحجاج، عن معاوية بن صالح، عن راشد بن سعد، عن أبي أمامة الباهلي؛ وعن ثوبان، عن النبي ﷺ، وليس فيه ذكرُ اللون^(١). وقال: لم يرفعه غير رشدين بن سعد، عن معاوية ابن صالح، وليس بالقوي^(٢).

وأحسنُ منه في الاستدلال ما رواه أبو أسامة عن الوليد بن كثير، عن محمد بن كعب، عن عبيد الله بن عبد الله بن رافع بن خديج، عن أبي سعيد الخدري قال: قيل: يا رسول الله، أنتوضأ من بئر بُضاعة؟ وهي بئرٌ يلقى فيها الحَيْضُ ولحومُ الكلاب والنَّتن؛ فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الماءَ ظهورٌ لا ينجسه شيء». أخرجه أبو داود والترمذي والدارقطني، كلُّهم بهذا الإسناد^(٣).

وقال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسن، وقد جَوَّد أبو أسامة هذا الحديث، ولم يروِ أحدٌ حديثَ أبي سعيد في بئر بُضاعة أحسنَ مما روى أبو أسامة. فهذا الحديث نصٌّ في ورود النجاسة على الماء، وقد حكم ﷺ بطهارته وطهوره.

قال أبو داود^(٤): سمعت قتيبة بن سعيد قال: سألت قَيْمَ بئرِ بضاعَةَ عن عمقها؛ قلت: [ما] أكثرُ ما يكون الماءُ فيها؟ قال: إلى العانة. قلت: فإذا نقص؟ قال: دون العورة. قال أبو داود: وقدَّرت بئرِ بضاعَةَ بردائي مددته عليها ثم ذرعته، فإذا عرضها ستة أذرع، وسألت الذي فتح لي بابَ البستان فأدخلني إليه: هل عُيِّر بناؤها عما كانت عليه؟ فقال: لا. ورأيت فيها ماءً متغيرَ اللون.

(١) سنن الدارقطني (٤٥)، (٤٧). وأخرجه ابن ماجه (٥٢١) من حديث أبي أمامة ﷺ، وفيه ذكر اللون. قال البوصيري في الزوائد ١/١٣١: فيه رشدين، وهو ضعيف، واختلف عليه مع ضعفه.

(٢) وقال الدارقطني بعده: والصواب من قول راشد، وقد أخرجه عنه برقم (٤٦).

(٣) سنن أبي داود (٦٦)، والترمذي (٦٦)، والدارقطني (٥٤). وسلف في المسألة الثالثة.

(٤) إثر الحديث (٦٧). ونقله المصنف عنه بواسطة أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٤١١-١٤١٢، وما سيرد بين حاصرتين منه.

فكان هذا دليلاً لنا على ما ذكرناه، غير أن ابن العربي قال: إنها في وسط السَّبْخَةِ^(١)، فماؤها يكون متغيراً من قرارها، والله أعلم.

الحادية عشرة: الماء الطاهر المطهَّرُ الذي يجوز به الوضوءُ وغَسْلُ النجاسات هو الماء القَرَّاحُ الصافي، من ماء السماء والأنهار والبحار والعيون والآبار، وما عرفه الناسُ ماءً مطلقاً غير مضافٍ إلى شيء خالطه؛ كما خلقه الله عزَّ وجلَّ صافياً، ولا يضره لونُ أرضه^(٢)، على ما بيَّناه.

وخالف في هذه الجملة أبو حنيفة وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر، فأما أبو حنيفة فأجاز الوضوءَ بالبيد في السفر^(٣)، وجوّز إزالة النجاسة بكل مائع طاهر. فأما بالدَّهن والمَرَق، فعنه رواية أنه لا يجوز إزالتها به. إلا أن أصحابه يقولون: إذا زالت النجاسة به جاز. وكذلك عنده النارُ والشمس؛ حتى إن جلد الميتة إذا جفَّ في الشمس طُهر من غير دباغ. وكذلك النجاسة على الأرض إذا جفَّت بالشمس، فإنه يطهر ذلك الموضع، بحيث تجوز الصلاة عليه، ولكن لا يجوز التيممُ بذلك التراب^(٤).

قال ابن العربي^(٥): لَمَّا وصف الله سبحانه الماء بأنه طهور، وامتنَّ بإنزاله من السماء ليطهِّرنا به، دلَّ على اختصاصه بذلك؛ وكذلك قال عليه الصلاة والسلام

(١) السبخة: الأرض ذات التزُّ والملح. القاموس (سيخ).

(٢) الكافي ١/١٥٥.

(٣) وقد روي عنه أنه قد رجع عن ذلك. وعند محمد لا بد من الجمع بينه وبين التيمم، وقال أبو يوسف: يتيمم ولا يتوضأ به، وهو المفتى به. ينظر الجامع الصغير ص ٥٥، والمبسوط ١/٨٨، ومجمع الأنهر ١/٢٤، وحاشية ابن عابدين ١/١٨١. وفي بدائع الصنائع ١/١٦٨: ذكر في الجامع الصغير أن المسافر إذا لم يجد الماء ووجد نبيذ التمر توضأ به ولم يتيمم. اه. ولم نقف على تقييده بالسفر عند غيره.

(٤) ينظر البناية شرح الهداية ١/٧٠٩-٧١٠، ٧٣٢، ٧٢٨.

(٥) في أحكام القرآن ٣/١٤٠٩، ١٤١٠.

لأسماء بنتِ الصّديق حين سألته عن دم الحيضِ يصيب الثوب^(١): «حُتِيه ثم اقرصيه، ثم اغسله بالماء». فلذلك لم يُلحَق غير الماء بالماء؛ لِمَا في ذلك من إبطال الامتتان، وليست النجاسة معنًى^(٢) محسوساً حتى يقال: كلُّ ما أزالها فقد قام به الفرض، وإنما النجاسةُ حكمٌ شرعيٌّ عيّن له صاحبُ الشرع الماء؛ فلا يُلحَق به غيره؛ إذ ليس في معناه، ولأنه لو لحق به لأسقطه، والفرع إذا عاد إلحاقه بالأصل في إسقاطه^(٣) سقط في نفسه. وقد كان تاجُ السُّنة ذو العِزِّ ابنُ المرتضى^(٤) الدبوسي يسميه فرخَ زنى.

قلت: وأما ما استدلَّ به على استعمال النيذ، فأحاديثٌ واهيةٌ ضِعَاف، لا يقوم شيءٌ منها على ساق؛ ذكرها الدارقطني وضَعَّفها ونصَّ عليها^(٥). وكذلك ضَعَّف ما رَوَى عن ابن عباس موقوفاً: «النيذ وضوءٌ من^(٦) لم يجد الماء». في طريقه ابنُ محرَّر^(٧)، متروكُ الحديث. وكذلك ما رَوَى عن عليٍّ أنه قال: لا بأس بالوضوء بالنيذ. الحجَّاج وأبو ليلي ضعيفان^(٨). وضَعَّف حديثُ ابن مسعود^(٩)، وقال: تفرَّد به ابنُ لهيعة، وهو ضعيفُ الحديث. وذكر عن علقمة بن قيس قال: قلت لعبد الله بن مسعود: أشهد رسولَ الله ﷺ أحدٌ منكم ليلةً أتاه داعي الجِنِّ؟ فقال: لا. قال

(١) أخرجه الشافعي في المسند (٤٦) عن سفيان بن عيينة، عن هشام، عن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء رضي الله عنها. وأخرجه أحمد (٢٦٩٢٠)، والبخاري (٢٢٧)، ومسلم (٢٩١) من طرق عن هشام، عن فاطمة، عن أسماء قال: أتت النبي ﷺ امرأةٌ فقالت... قال ابن حجر في الفتح ٣٣١/١: رواية الشافعي صحيحة الإسناد، ولا بعد في أن يبهم الراوي اسم نفسه.

(٢) في النسخ الخطية: عيناً، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في أحكام القرآن.

(٣) في (ف): في الإسقاط، وفي أحكام القرآن: بالإسقاط.

(٤) في النسخ الخطية: ذو العزيز المرتضى.

(٥) في السنن ١٢٦/١ فما بعد.

(٦) في (م): لمن.

(٧) في النسخ: محرز، وهو خطأ. والمثبت من سنن الدارقطني.

(٨) سنن الدارقطني (٢٤١) و(٢٥٤) و(٢٥٥).

(٩) سنن الدارقطني (٢٤٤)، وأخرجه أحمد (٣٧٨٢)، وابن ماجه (٣٨٥).

الشيخ^(١): هذا إسنادٌ صحيح لا يُختلف في عدالة رُواته.

وأخرج الترمذي^(٢) حديث ابن مسعود؛ قال: سألت النبي ﷺ: «ما في إداوتك» فقلت: نبيذ. فقال: «تمرّة طيّبة وماءٌ ظهور» قال: فتوضأ منه.

قال أبو عيسى: وإنما رُويَ هذا الحديثُ عن أبي زيد، عن عبد الله، عن النبي ﷺ، وأبو زيد رجلٌ مجهول عند أهل الحديث، لا تُعرف له روايةٌ غير هذا الحديث، وقد رأى بعضُ أهل العلم الوضوءَ بالنيذ؛ منهم سفيانٌ وغيره، وقال بعضُ أهل العلم: لا يتوضأ بالنيذ، وهو قول الشافعي وأحمد وإسحاق، وقال إسحاق: إن ابْتلي رجلٌ بهذا فتوضأ بالنيذ وتيمّم أحبُّ إلي. قال أبو عيسى: وقولُ مَنْ يقول: لا يتوضأ بالنيذ؛ أقربُ إلى الكتاب والسنة وأشبه^(٣)؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣، المائدة: ٦].

وهذه المسألة مطوّلة في كتب الخلاف؛ وعمدتهم التمسكُ بلفظ الماء، حسيماً تقدم في «المائدة» بيانه، والله أعلم.

الثانية عشرة: لَمَّا قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ وقال: ﴿يُظَهِّرُكُمْ بِهِ﴾ [الأنفال: ١١]، توقّف جماعةٌ في ماء البحر؛ لأنه ليس بمنزل من السماء؛ حتى رَووا عن عبد الله بن عمر وابن عمرو معاً أنه لا يتوضأ به^(٤)؛ لأنه نار، ولأنه طبق جهنم. ولكن النبي ﷺ بيّن حكمه حين قال لمن سأله: «هو الطهور ماؤه الحِلُّ ميتته»^(٥) أخرجه مالك^(٦).

(١) في (م): قلت، بدل: قال الشيخ. وهو خطأ، والمثبت من النسخ الخطية، وهو الموافق لما في سنن الدار قطني (٢٤٥). والحديث أخرجه أيضاً أحمد (٤١٤٩)، ومسلم (٤٥٠).

(٢) برقم (٨٨)، وهو في مسند أحمد (٣٨١٠).

(٣) قوله: والسنة، ليس في (ظ)، وقوله: وأشبه، ليس في (د) و (ز) و (ف).

(٤) سيأتي قريباً.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٤١٣.

(٦) في الموطأ ١/٢٢. وسلف ٨/٢١٢.

وقال فيه أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح. وهو قول أكثر الفقهاء من أصحاب النبي ﷺ، منهم أبو بكر وعمرُ وابن عباس، لم يروا بأساً بماء البحر، وقد كره بعض أصحاب النبي ﷺ الوضوء بماء البحر؛ منهم ابنُ عمر وعبد الله بن عمرو، وقال عبد الله بن عمرو: هو نار^(١).

قال أبو عمر^(٢): وقد سأل^(٣) أبو عيسى الترمذي [محمد بن إسماعيل البخاري] عن حديث مالك هذا، عن صفوان بن سليم، فقال: هو عندي حديثٌ صحيح. قال أبو عيسى: فقلت للبخاري: هُشيم يقول فيه: ابن أبي بَرزة. فقال: وهم فيه، إنما هو المغيرة بنُ أبي بُردة.

قال أبو عمر: لا أدري ما هذا من البخاري رحمه الله، ولو كان [عنده] صحيحاً، لأخرجه في مصنّفه الصحيح عنده، ولم يفعل؛ لأنه لا يعول في الصحيح إلا على الإسناد. وهذا الحديث لا يحتجُّ أهل الحديث بمثل إسناده، وهو عندي صحيح؛ لأن العلماء تلقّوه بالقبول له والعمل به، ولا يخالف في جملته أحدٌ من الفقهاء، وإنما الخلاف بينهم في بعض معانيه. وقد أجمع جمهور^(٤) العلماء وجماعة أئمة الفتوى بالأمصار من الفقهاء أن البحر طهورٌ ماؤه، وأن الوضوء به جائز؛ إلا ما روي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص أنهما كرها الوضوء بماء البحر، ولم يتابعهما أحدٌ من فقهاء الأمصار على ذلك، ولا عرّج عليه، ولا التفت إليه؛ لحديث هذا الباب^(٥). وهذا يدلُّ على اشتهار الحديث عندهم، وعملهم به وقبولهم له، وهو أولى عندهم من الإسناد الظاهر الصحة لمعنى تردّه

(١) سنن الترمذي إثر الحديث (٦٩). قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في التعليق عليه: هذا رأي لعبد الله ابن عمرو إن صح إسناده إليه. اهـ. وأثر ابن عمر وابن عمرو أخرجه ابن أبي شيبة ١٣١/١.

(٢) في التمهيد ٢١٨/١٦. وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٣) في (م): سئل، وهو خطأ.

(٤) في (م): زيادة: من، والمثبت من النسخ الخطية، وهو الموافق لما في التمهيد ٢٢١/١٦.

(٥) جاء في حاشية (ظ) ما نصه: لعل إنما كره رضي الله تعالى عنهما الوضوء بماء البحر لأن ماء البحر يضر بالاستعمال للعين وسائر البدن... والله أعلم.

الأصول. وبالله التوفيق.

قال أبو عمر^(١): صفوان بن سليم مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهري، من عُبَاد أهل المدينة وأتقاهم لله، ناسكاً، كثير الصدقة بما وجد من قليل وكثير، كثير العمل، خائفاً لله، يُكنى أبا عبد الله، سكن المدينة لم ينتقل عنها، ومات بها سنة اثنتين وثلاثين ومئة.

ذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي يُسأل عن صفوان بن سليم، فقال: ثقة من خيار عباد الله وفضلاء المسلمين^(٢).

وأما سعيد بن سلمة فلم يرو عنه فيما علمت إلا صفوان، والله أعلم. ومن كانت هذه حاله، فهو مجهول لا تقوم به حجة عند جميعهم.

وأما المغيرة بن أبي بُردة فقليل عنه: إنه غير معروف في حَمَلَة العلم كسعيد بن سلمة. وقيل: ليس بمجهول.

قال أبو عمر^(٣): المغيرة بن أبي بُردة وجدت ذكره في مغازي موسى بن نصير بالمغرب، وكان موسى يستعمله على الخيل، وفتح الله له في بلاد البربر فتوحات في البر والبحر.

وروى الدارقطني من غير طريق مالك عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من لم يطهره ماء البحر فلا طهره الله». قال: إسناده حسن^(٤).

الثالثة عشرة: قال ابن العربي: توهم قوم أن الماء إذا فضلت للجنب منه فضلة لا يتوضأ به، وهو مذهب باطل؛ فقد ثبت عن ميمونة أنها قالت: أجنبنا أنا ورسول الله ﷺ،

(١) في التمهيد ٢٠٩/١٦، ٢١٧ - ٢١٨.

(٢) بنحوه في العلل ومعرفة الرجال لأحمد ٤٩٥/٢.

(٣) في التمهيد ٢١٨/١٦.

(٤) سنن الدارقطني (٧٨).

واغتسلت من جَفْنَةٍ وَفَضَلْتُ فَضْلَهُ، فجاء رسول الله ﷺ ليغتسل منها^(١)، فقلت: إني قد اغتسلت منه. فقال: «إِنَّ الْمَاءَ لَيْسَ عَلَيْهِ نَجَاسَةٌ، أَوْ^(٢): إِنْ الْمَاءُ لَا يُجِيبُ»^(٣).

قال أبو عمر^(٤): وردت آثارٌ في هذا الباب مرفوعةٌ في النهي عن أن يتوضأ الرجلُ بفضل المرأة. وزاد بعضهم في بعضها: ولكن ليغترفا جميعاً^(٥). فقالت طائفة: لا يجوز أن يغترف الرجلُ مع المرأة في إناءٍ واحد؛ لأن كلَّ واحدٍ منهما متوضئٌ [حينئذ] بفضل صاحبه. وقال آخرون: إنما كره من ذلك أن تنفردَ المرأةُ بالإناء، ثم يتوضأ الرجل بعدها بفضلها. وكلُّ واحدٍ منهم روى بما ذهب إليه أثراً. والذي ذهب إليه الجمهور من العلماء وجماعةُ فقهاء الأمصار أنه لا بأس أن يتوضأ الرجل بفضل المرأة؛ وتتوضأ المرأةُ من فضله، انفردت المرأةُ بالإناء أو لم تنفرد. وفي مثل هذا آثارٌ كثيرةٌ صحاح. والذي نذهب إليه أن الماء لا ينجسه شيء، إلا ما ظهر فيه من النجاسات، أو غلب عليه منها؛ فلا وجه للاشتغال بما لا يصحُّ من الآثار والأقوال. والله المستعان.

روى الترمذيُّ عن ابن عباس قال: حَدَّثَنِي مَيْمُونَةُ قَالَتْ: كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ مِنَ الْجَنَابَةِ. قال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ^(٦).

وروى البخاريُّ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَالنَّبِيَّ ﷺ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ يُقَالُ لَهُ: الْفَرَقُ^(٧).

(١) في (م): منه.

(٢) في النسخ الخطية: و.

(٣) أحكام القرآن ٣/١٤١٠. والحديث أخرجه أحمد (٢٦٨٠٢) ولفظه: ..فقال: «إِنَّ الْمَاءَ لَيْسَ عَلَيْهِ جَنَابَةٌ. أَوْ: لَا يَنْجَسُهُ شَيْءٌ» فاغتسل منه. وستأتي شواهد.

(٤) في التمهيد ١٤/١٦٤-١٦٥. وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٥) سيأتي تخريج الراوية بنحو هذا اللفظ.

(٦) سنن الترمذي (٦٢). وأخرجه أحمد (٢٦٧٩٧)، ومسلم (٣٢٢٢) دون قولها: من الجنابة. وهو عند البخاري (٢٥٣) إلا أنه قال: عن ابن عباس أن النبي ﷺ وميمونة...

(٧) صحيح البخاري (٢٥٠)، وأخرجه أحمد (٢٤٠١٤) (٢٥٦٣٤)، ومسلم (٣١٩): (٤١). والفَرَقُ =

وفي صحيح مسلم^(١) عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان يغتسل بفضل ميمونة. وروى الترمذي عن ابن عباس قال: اغتسل بعض أزواج النبي ﷺ في جفنة، فأراد رسول الله ﷺ أن يتوضأ منه فقالت: يا رسول الله، إني كنت جنباً. فقال: «إن الماء لا يُجْنِب». قال: هذا حديث حسن صحيح، وهو قول سفيان الثوري ومالك والشافعي^(٢).

وروى الدارقطني عن عمرة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أتوضأ أنا والنبي ﷺ من إناء واحد وقد أصابت الهرة منه قبل ذلك. قال: هذا حديث صحيح^(٣). وروى أيضاً عن رجل من بني غفار قال: نهى رسول الله ﷺ عن فضل طهور المرأة^(٤).

وفي الباب عن عبد الله بن سرجس، وكره بعض الفقهاء فضل طهور المرأة، وهو قول أحمد وإسحاق^(٥).

الرابعة عشرة: روى الدارقطني عن زيد بن أسلم، [عن أسلم] مولى عمر بن الخطاب: أن عمر بن الخطاب كان يسخن له ماءً في قُمَّمَةٍ ويغتسل به. قال:

= بالتحريك: مكيال يسع ستة عشر رطلاً، النهاية (فرق).

(١) برقم (٣٢٣)، وأخرجه أحمد (٣٤٦٥).

(٢) سنن الترمذي ٩٤/١ حديث (٦٥). وأخرجه أيضاً أحمد (٢١٠٢)، وأبو داود (٦٨)، والنسائي ١٧٣/١، وابن ماجه (٣٧٠). وسلف من حديث ميمونة رضي الله عنها أول هذه المسألة.

(٣) في (د) و(ز) و(م): حسن صحيح، والمثبت من (ظ) و(ف)، وهو الموافق لما في سنن الدارقطني (٢١٤). وأخرجه أيضاً ابن ماجه (٣٦٨). قال البوصيري في الزوائد ١٠٥/١: هذا إسناد ضعيف.

(٤) سنن الدارقطني (١٤٢). وأخرجه أيضاً أحمد (٢٠٦٥٥)، وأبو داود (٨٢)، والترمذي (٦٣) و(٦٤)، والنسائي ١٧٩/١، وابن ماجه (٣٧٣). قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٥) قاله الترمذي إثر الحديث (٦٣). وحديث عبد الله بن سرجس أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ٢٤/١، والدارقطني (٤١٧)، ولفظه: نهى رسول الله ﷺ أن يغتسل الرجل بفضل المرأة، والمرأة بفضل الرجل، ولكن بشرعان جميعاً. وأخرجه بنحوه الدارقطني (٤١٨) موقوفاً، وقال: هو أولى بالصواب.

وهذا إسنادٌ صحيحٌ^(١).

وَرَوَى عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ سَخَنْتُ مَاءً فِي الشَّمْسِ. فَقَالَ: «لَا تَفْعَلِي يَا حُمَيْرَاءُ؛ فَإِنَّهُ يورثُ البَرَصَ». رواه خالد بنُ إسماعيلَ المخزوميُّ عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، وهو متروك. ورواه عمرو بنُ محمد الأعمش^(٢) عن فليح، عن الزُّهريِّ، عن عروة، عن عائشة. وهو منكر الحديث، ولم يروه غيره عن فليح، ولا يصحُّ عن الزهري؛ قاله الدارقطني^(٣).

الخامسة عشرة: كلُّ إناءٍ طاهرٍ فجائزٌ الوضوءُ منه، إلا إناءُ الذهبِ والفضة؛ لِنَهْيِ رسولِ اللهِ ﷺ عن اتِّخَاذِهِمَا. وذلك - والله أعلم - للتشبهِ بالأعاجمِ والجبابرة، لا لنجاسةٍ فيهما. ومَن توضأَ فيهما أجزاءهُ وضوؤه، وكان عاصياً باستعمالها. وقد قيل: لا يُجزئُ الوضوءُ في أحدهما. والأوَّلُ أكثر؛ قاله أبو عمر^(٤). وكلُّ جلدٍ ذُكِّيَ فجائزٌ استعمالُهُ للوضوءِ وغيرِ ذلك. وكان مالكٌ يكره الوضوءَ في إناءِ جلدِ الميتةِ بعد الدِّبَاغِ؛ على اختلافٍ من قوله. وقد تقدَّم في «النحل»^(٥).

قوله تعالى: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسٍ كَثِيرًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ﴾ أي: بالمطر. ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ بالجدوبة والمخل وعدم النبات. قال كعب: المطرُ روح الأرض يحييها الله به^(٦). وقال: «ميتاً» ولم يقل ميتة؛ لأنَّ معنى البلدة والبلد واحد؛ قاله الزجاج. وقيل: أرادَ بالبلد المكان^(٧).

(١) سنن الدارقطني (٨٥) ومن طريقه البيهقي ٦/١، وما بين حاصرتين منهما. والقممة: ما يسخن فيه الماء من نحاس وغيره. النهاية (قمم).

(٢) في (ف) و(م): الأعمش. وهو خطأ.

(٣) سنن الدارقطني برقم (٨٦) و(٨٧).

(٤) في الكافي ١/١٦٢-١٦٣، وما بعده منه. وحديث النهي عن آتية الذهب والفضة أخرجه أحمد (٢٣٢٦٩)، والبخاري (٥٤٢٦)، ومسلم (٢٠٦٧) من حديث حذيفة ؓ. وروى عن غيره أيضاً.

(٥) ٣٩٩/١٢.

(٦) لفظة: به. من (م)، وقول كعب أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٧٣٤) دون قوله: يحيها الله به.

(٧) زاد المسير ٦/٩٤، وكلام الزجاج السالف فيه، وهو في معاني القرآن له ٧١/٤.

﴿وَشَقِيهٖ﴾ قراءة العامة بضمّ النون. وقراً عمرُ بن الخطاب، وعاصمٌ والأعمش فيما روى المفضل عنهما: «سَقِيهٖ»؛ بفتح النون^(١).

﴿مِمَّا خَلَقْنَا أُنثَمًا وَأُنَاسِيًّا كَثِيْرًا﴾ أي: بَشَرًا كَثِيْرًا، وَأُنَاسِيًّا واحدهُ إنسيّ - نحو جمع القُرُقور^(٢): قَرَاقِيرٌ وَقَرَاقِرٌ - في قول الأخفش^(٣) والمبرد واحد قولي الفراء^(٤)، وله قولٌ آخر، وهو أن يكون واحده إنسانًا، ثم يُبدل من النون ياءً؛ فيقول: أناسيّ، والأصل: أناسين، مثل: سرحان وسراحين، ويستان ويساتين؛ فجعلوا الياء عوضاً من النون، وعلى هذا يجوزُ: سَرَاحِيّ وَيَسَاتِيّ، لا فرق بينهما^(٥).

قال الفراء: ويجوز «أناسي» بتخفيف الياء^(٦)؛ كأنهم أسقطوا الياء^(٧) التي فيما بين لام الفعل وعينه؛ مثل قَرَاقِيرٍ وَقَرَاقِرٍ.

وقال: «كثيْرًا» ولم يقل: كثيرين؛ لأن فعيلًا قد يراد به الكثرة؛ نحو ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيْقًا﴾ [النساء: ٦٩].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا فَآبِيَ أَكْثَرَ النَّآسِ إِلَّا كُفُوْرًا ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ يعني: القرآن^(٨)، وقد جرى ذكره في أول السورة: قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ [الآية: ١]. وقوله: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ

(١) القراءات الشاذة ص ١٠٥، والمحرر الوجيز ٢١٣/٤، والبحر ٥٠٥/٦. وقراءة عاصم المتواترة عنه كقراءة الجماعة.

(٢) القرقور: ضربٌ من السفن، وقيل: هي السفينة العظيمة أو الطويلة. اللسان (قرر).

(٣) في معاني القرآن له ٦٤٣/٢.

(٤) في معاني القرآن له ٢٦٩/٢، وما بعده فيه.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١٦٣/٣، وينظر معاني القرآن للزجاج ٧١/٤.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢٧٠/٢، وهي قراءة شاذة عن يحيى بن الحارث الذماري. القراءات الشاذة ص ١٠٥، والبحر المحيط ٥٠٥/٦.

(٧) قوله: كأنهم أسقطوا الياء. من (ظ).

(٨) في (د) و(ز): ليذكروا القرآن.

اللِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴿ [الآية: ٢٩]. وقوله: ﴿أَتَّخِذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الآية: ٣٠].
 ﴿يَذْكُرُوا فَأَيُّ آكْثَرِ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ أي: جُحوداً له وتكذيباً به. وقيل:
 «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا بَيْنَهُمْ»؛ هو المطر. روي عن ابن عباس وابن مسعود: وأنه ليس عامٌ
 بأكثر مطراً من عام، ولكنَّ الله يُصَرِّفه حيث يشاء، فما زيد لبعضِ نَقْصٍ من
 غيرهم^(١). فهذا معنى التصريف. وقيل: «صَرَّفْنَا بَيْنَهُمْ» وإبلاً وطشاً وطلاً ورهاماً
 ورداً^(٢). وقيل: تصريفه تنويع الانتفاع به في الشرب والسقي والزراعات به،
 والطهارات وسقي البساتين والغسل وشبهه^(٣).

﴿يَذْكُرُوا فَأَيُّ آكْثَرِ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ قال عكرمة: هو قولهم في الأنواء:
 مُطِرْنَا بنوءِ كذا^(٤).

قال النَّحَّاس^(٥): ولا نعلمُ بين أهل التفسير اختلافاً أنَّ الكفرَ هاهنا قولهم: مُطِرْنَا
 بنوءِ كذا وكذا؛ وأنَّ نظيره: فَعَلَ النَّجْمُ كذا^(٦)، وأنَّ كلَّ من نَسَبَ إليه فعلاً فهو كافر.
 وروى الربيع بن صبيح^(٧) قال: مُطِرَ النَّاسَ على عهد رسول الله ﷺ ذاتَ ليلةٍ،
 فلَمَّا أَصْبَحَ قال النبي ﷺ: «أَصْبَحَ النَّاسُ فيها رجلين شاكراً وكافراً؛ فأَمَّا الشاكِرُ فيحمدُ

(١) أخرجهما الطبري ١٧/٤٦٨-٤٦٩.

(٢) ذكره الواحدي في الوجيز (بحاشية مراح لبيد) ٢/١٠٠، والبغوي في تفسيره ٣/٣٧٢، والزمخشري في الكشاف ٣/٩٦. دون نسبة. ووقع في (د) و(ز) و(م) قبل قوله: ورداً، ما نصه: الجوهرى: الرهام الأمطار اللينة، وزاد بعدها في (د): الوايلة، وزاد في (ز): الواحدة: رهمة، بالكسر، ويجمع أيضاً: رهماً. ووقعت هذه الزيادة في (ف) بعد قوله: وشبهه؛ نهاية الكلام.

(٣) تفسير الرازي ٢٤/٩٨.

(٤) أخرجه الطبري ١٧/٤٦٩. دون قوله: مطرنا بنوء كذا.

(٥) في إعراب القرآن ٣/١٦٣-١٦٤.

(٦) جاءت العبارة في إعراب القرآن للنحاس: وأن نظيره قول المنجم: فعل النجم كذا وكذا.

(٧) البصري العابد، كان من عباد أهل البصرة وزهادهم، إلا أن الحديث لم يكن من صناعته، فكان يهمل كثيراً. توفي بالسند سنة ستين ومئة. سير أعلام النبلاء ٧/٢٨٧-٢٨٩.

الله تعالى على سُقياه وغيائه، وأما الكافر فيقول: مُطِرْنَا بنوءِ كذا وكذا^(١). متفقٌ على صحَّته بمعناه^(٢)، وسيأتي في الواقعة إن شاء الله^(٣).

ورُوي من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من سَنَةٍ بأَمَطَرَ من أخرى، ولكن إذا عَمِل قومٌ بالمعاصي، صَرف الله ذلك إلى غيرهم، فإذا عَصَوْا جميعاً صَرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار»^(٤). وقيل: التَّصريف راجعٌ إلى الريح^(٥)، وقد مضى في «البقرة» بيانه^(٦).

وقرأ حمزةٌ والكسائيُّ: «لِيَذْكُرُوا»^(٧) مخففةً الدَّال؛ من الذِّكْر. الباكون مُثَقَّلًا من التذكُّر، أي: ليذكروا نِعَمَ الله، ويعلموا أنَّ من أنعمَ بها لا يجوز الإِشْرَاقَ به؛ فالتذكُّر قريبٌ من الذِّكْر، غير أنَّ التذكُّر يُطَلَقُ فيما بَعُدَ عن القلب، فيحتاج إلى تكلفٍ في التذكُّر.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِيعُ الْكٰفِرِينَ وَجَنَّهُمْ بِرَبِّ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ أي: رسولاً يُنذِرهم، كما قَسَمْنَا المطرَ؛ ليخفَّ عليك أعباءُ النبوة، ولكنَّا لم نفعل، بل جعلناك نذيراً للكلِّ؛ لترتفع^(٨) درجتك، فاشكر نعمةَ الله عليك^(٩).

(١) لم نقف عليه من طريق الربيع بن صبيح، وأخرجه بنحو هذا اللفظ الطبراني في المعجم الكبير (١٢٨٨٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه بمعناه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١) من حديث زيد بن خالد الجهني ؓ. وهو عند أحمد (١٧٠٦١).

(٣) عند تفسير الآية (٧٥) منها.

(٤) ذكره البغوي ٣/٣٧٢، وسلف بنحوه موقوفاً على ابن عباس وابن مسعود.

(٥) تفسير البغوي ٣/٣٧٢.

(٦) ٤٩٨/٢.

(٧) السبعة ص ٤٦٥، والتيسير ص ١٦٤.

(٨) في (د) و(ز): لرفع.

(٩) الكلام بنحوه في الكشاف ٣/٩٦، وتفسير الرازي ٢٤/٩٩.

﴿فَلَا تُطِيعُ الْكٰفِرِيْنَ﴾ أي: فيما يدعونك إليه من اتباع آلهتهم. ﴿وَجٰهَدْهُمْ بِدِيْنِكَ﴾ قال ابن عباس: بالقرآن. ابن زيد: بالإسلام^(١). وقيل: بالسيف؛ وهذا فيه بعد؛ لأنّ السورة مكية، ونزلت قبل الأمر بالقتال^(٢). ﴿جِهَادًا كَبِيْرًا﴾ لا يخالطه فتور.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهٰذَا مِلْحٌ اَجَاظٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَّحْجُوْرًا ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ عاد الكلام إلى ذكر النعم. و«مَرَجَ»: خَلَّى وَخَلَطَ وَأرسل. قال مجاهد: أرسلهما وأفاض أحدهما في الآخر^(٣).

قال ابن عرفة: «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ» أي: خلطهما فهما يلتقيان؛ يقال: مَرَجْتُهُ إِذَا خَلَطْتَهُ.

وَمَرَجَ الدِّينُ وَالْأَمْرُ: اختلط واضطرب^(٤)؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فِيْ أَمْرِ مَّرِيْجٍ﴾ [ق: ٥]. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عمرو بن العاصي: «إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ مَرَجَتْ عَهْوُهُمْ، وَخَفَّتْ أَمَانَتُهُمْ، وَكَانُوا هٰكذَا وَهٰكذَا» وشبك بين أصابعه، فقلتُ له: كَيْفَ أَصْنَعُ عِنْدَ ذٰلِكَ؟ جعلني الله فداك. قال: «الزُّمُّ بَيْتِكَ، وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ مَا^(٥) تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ أَمْرِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ». خرَّجه النسائي وأبو داود وغيرهما^(٦).

وقال الأزهري^(٧): «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ»: خَلَّى بَيْنَهُمَا؛ يقال: مَرَجْتُ الدَّابَّةَ: إِذَا خَلَيْتَهَا تَرَعَى.

(١) أخرج القولين الطبري ٤٧٠/١٧.

(٢) ينظر تفسير الرازي ١٠٠/٢٤.

(٣) تفسير مجاهد ٤٥٤/٢، وأخرجه الطبري ٤٧٢/١٧، وفيه: وأفاض أحدهما على الآخر.

(٤) الصحاح (مرج).

(٥) في (م): بما.

(٦) السنن الكبرى للنسائي (٩٩٦٢)، وسنن أبي داود (٤٣٤٣). وهو عند أحمد (٦٩٨٧).

(٧) لم تقف على كلامه، وقاله الزجاج في معاني القرآن ٧٢/٤، وينظر الصحاح (مرج).

وقال ثعلب: المرج: الإجراء، فقوله: «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ» أي: أجراهما^(١). وقال الأخشس: ويقول قوم: أمرج البحرين، مثل: مَرَج، فَعَلَ وَأَفْعَلَ بمعنى^(٢).
 ﴿هَذَا عَذَبٌ قُرْآنٌ﴾ أي: حلو شديد العذوبة. ﴿وَهَذَا يَمْلَحُ أجاجٌ﴾ أي: فيه ملوحة ومرارة. ورؤي عن طلحة أنه قرأ: «وَهَذَا مَلِخٌ»؛ بفتح الميم وكسر اللام^(٣).
 ﴿وَجَمَلٌ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ أي: حاجزاً من قدرته لا يغلب أحدهما على صاحبه؛ كما قال في سورة الرحمن: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الآية: ١٩-٢٠].
 ﴿وَجِجْرًا مَخْجُورًا﴾ أي: سترأ مستوراً يمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر. فالبرزخ: الحاجز، والحجر: المانع. وقال الحسن: يعني بحر فارس وبحر الروم^(٤). وقال ابن عباس وابن جبير: يعني بحر السماء وبحر الأرض^(٥). قال ابن عباس: يلتقيان في كل عام وبينهما برزخ؛ قضاءً من قضائه^(٦). «وَجِجْرًا مَخْجُورًا»: حراماً مُحَرَّمًا أَنْ يَعْذَبَ هَذَا الْمَالِحُ بِالْعَذَبِ، أَوْ يَمْلَحُ هَذَا الْعَذَبُ بِالْمَالِحِ.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ ﴿٥٤﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ أي: خلق من النطفة إنساناً. ﴿فَجَعَلَهُ﴾ أي: جعل الإنسان «نَسَبًا وَصِهْرًا». وقيل: «مِنَ الْمَاءِ» إشارة إلى أصل الخلقة في أن كل حي مخلوق من الماء. وفي هذه الآية تعديد النعمة على الناس في

(١) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٧٣/١١ عن ثعلب عن ابن الأعرابي.

(٢) الصحاح (مرج).

(٣) القراءات الشاذة ص ١٠٥، والمحتسب ١٢٤/٢. والمحور الوجيز ٤/٢١٤.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٠٨/٨ (١٥٢٥٩).

(٥) النكت والعيون ٤/١٥٠، ونسب القول الأخير لمجاهد وابن جبير.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم بنحوه ٢٧٠٩/٨ (١٥٢٦٩).

إيجادهم بعد العدم، والتنبيه على العبرة في ذلك^(١).

الثانية: قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ النسب والصهر معنيان يعلمان كل قريبى تكون بين آدميين^(٢). قال ابن العربي^(٣): النسب عبارة عن خلط الماء بين^(٤) الذكر والأنثى على وجه الشرع؛ فإن كان بمعصية كان خلقاً مطلقاً، ولم يكن نسباً محققاً، ولذلك لم يدخل تحت قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] بنته من الزنى؛ لأنها ليست ببنت له في أصح القولين^(٥) لعلمائنا، وأصح القولين في الدين؛ وإذا لم يكن نسب شرعاً فلا صهر شرعاً فلا يحرم الزنى بنت أم ولا أم بنت^(٦)، وما يحرم من الحلال لا يحرم من الحرام؛ لأن الله امتن بالنسب والصهر على عباده، ورفع قدرهما، وعلّق الأحكام في الحلال والحرم عليهما، فلا يلحق الباطل بهما ولا يساويهما.

قلت: اختلف الفقهاء في نكاح الرجل ابنته من زنى، أو أخته أو بنت ابنه من زنى؛ فحرم^(٧) ذلك قوم منهم: ابن القاسم، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه، وأجاز ذلك آخرون منهم: عبد الملك بن الماجشون، وهو قول الشافعي [على كراهة]، وقد مضى هذا في «النساء» مجوداً^(٨).

قال الفراء^(٩): النسب: الذي لا يحل نكاحه، والصهر: الذي يحل نكاحه^(١٠).

(١) المحرر الوجيز ٢١٤/٤.

(٢) المحرر الوجيز ٢١٤/٤.

(٣) في أحكام القرآن ١٤١٤/٣.

(٤) في النسخ الخطية: المائتين.

(٥) في (ظ): وبنته من الزنى ليست ببنت له في أصح القولين، واضطربت العبارة في (د) و (ز) والمثبت من (م) وأحكام القرآن لابن العربي.

(٦) العبارة في أحكام القرآن لابن العربي: فلا يحرم الزنى ببنت أم، ولا بأم بنتاً.

(٧) في (ظ): فممنوع.

(٨) ١٩٠-١٩١/٦، والكلام السالف في التمهيد ١٩١/٨، وما بين حاصرتين منه.

(٩) في معاني القرآن له ٢٧٠/٢.

(١٠) قوله: والصهر الذي يحل نكاحه. من (م).

وقاله الزَّجَّاج، وهو قول علي بن أبي طالب عليه السلام^(١). واشتقاق الصَّهْر من صَهْرَتْ الشيء: إذا خلطته؛ فكلُّ واحدٍ من الصَّهْرَيْنِ قد خلط صاحبه، فسُمِّيَتِ المَنَايِحُ صِهْرًا؛ لاختلاط النَّاسِ بها^(٢).

وقيل: الصَّهْرُ: قرابة النِّكاح؛ فقرابة الزَّوْجَةِ هم الأَخْتَانُ، وقرابة الزَّوْجِ هم الأَخْمَاءُ. والأصهارُ يقع عامًّا لذلك كلِّه؛ قاله الأصمعي.

وقال ابن الأعرابي: الأَخْتَانُ: أبو المرأة وأخوها وعمُّها، كما قال الأصمعي، والصَّهْرُ: زوج ابنة الرجل وأخوه وأبوه وعمُّه.

وقال محمد بن الحسن في رواية أبي سليمان الجَوْزَجَانِيَّ: أَخْتَانُ الرَّجُلِ: أزْوَاجُ بناته وأخواته وعماته وخالاته، وكلُّ ذَاتِ مَحْرَمٍ مِنْهُ، وَأَصْهَارُهُ: كلُّ ذِي رَحِمٍ مَحْرَمٍ مِنْ زَوْجَتِهِ.

قال النَّحَّاس^(٣): الأَوْلَى في هذا أن يكونَ القولُ في الأصهار ما قال الأصمعي، وأن يكونَ من قبيلهما جميعاً؛ يقال: صَهْرَتْ الشيء، أي: خلطته؛ فكلُّ واحدٍ منهما قد خلط صاحبه. والأَوْلَى في الأَخْتَانِ ما قاله محمد بن الحسن لجهتين:

إحداهُما: الحديثُ المرفوع؛ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ يَزِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَسِيْطٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ^(٤) عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا أَنْتَ يَا عَلِيَّ فَخَتْنِي وَأَبُو وَلَدِي، وَأَنْتَ مَنِّي وَأَنَا مِنْكَ»^(٥). فهذا على أن زَوْجَ الْبِنْتِ خَتْنٌ.

(١) معاني القرآن للزجاج ٧٢/٤، ونسبه لعلي بن أبي طالب ابن عطية في المحرر الوجيز ٢١٤/٤.

(٢) النكت والعيون ١٥١/٤.

(٣) في معاني القرآن ٣٩/٥. وأقوال الأصمعي وابن الأعرابي ومحمد بن الحسن السالفة منه.

(٤) في (د) و (ز) عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أسامة بن زيد...، وفي (ظ) عن أبي أسامة بن زيد... والمثبت من (م) ومعاني القرآن ومصادر التخريج.

(٥) أخرجه أحمد (٢١٧٧٧)، والنسائي في الكبرى (٨٤٧١) مطولاً. ومحمد بن إسحاق. صدوق يدلُّس. تقريب التهذيب. وقد عنعن في هذا الحديث. أما قوله ﷺ لعلي: «أنت منِّي وأنا منك» فصحيح أخرجه البخاري (٤٢٥١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

والجهةُ الأخرى: أن اشتقاقَ الحَتَنِ من خَتَنَه: إذا قطعه؛ وكأنَّ الزوجَ قد انقطعَ عن أهله، وقطعَ زوجته عن أهلها.

وقال الضحاك: الصَّهْرُ قرابةُ الرِّضَاعِ. قال ابنُ عطية^(١): وذلك عندي وَهَمٌّ أوجبَه أن ابنَ عباسٍ قال: حُرْمٌ من النسبِ سبعٌ، ومن الصهرِ خمسٌ. وفي روايةٍ أخرى^(٢) من الصَّهْرِ سبعٌ، يريدُ قولَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ﴾. فهذا هو النسب. ثم يريدُ بالصهرِ قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ [النساء: ٢٣]. ثم ذكرَ المحصنات. ومحمل هذا أن ابنَ عباسٍ أراد: حُرْمٌ من الصهرِ ما ذُكِرَ معه^(٣)، فقد أشار بما ذكر إلى عظمه وهو الصَّهْرُ، لا أن الرِّضَاعَ صهرٌ، وإنما الرِّضَاعُ عديلُ النسبِ؛ يحرمُ منه ما يحرمُ من النسبِ بحكم الحديث^(٤) المأثور فيه. ومن روى: وحُرْمٌ من الصهرِ خمسٌ، أسقطَ من الآيتين الجمعَ بين الأختين والمحصنات؛ وهنَّ^(٥) ذواتُ الأزواج.

قلت: فابن عطية جعل الرِّضَاعَ مع ما تقدَّم نسباً، وهو قول الزجاج. قال أبو إسحاق^(٦): النسبُ الذي ليس بصهر؛ من قوله جل ثناؤه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ إلى قوله ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ [النساء: ٢٣] والصهرُ من يحلُّ^(٧) له التزويج.

(١) في المحرر الوجيز ٢١٥/٤. وقول الضحاك السالف منه.

(٢) قول ابن عباس: حُرْمٌ من النسبِ سبعٌ، ومن الصهرِ سبعٌ، سلف ١٧٤/٦، ولم نقف على لفظ: خمس، عن ابن عباس، وقد أخرجه الطبري ٤٧٦/١٧ عن الضحاك.

(٣) في المحرر الوجيز: مع ما ذكر معه.

(٤) سلف ١٧٩/٦.

(٥) في (د) و (ز): ومن، وفي (ظ): من. والمثبت من (م) والمحرر الوجيز.

(٦) هو الزجاج، وكلامه في معاني القرآن له ٧٢/٤.

(٧) لفظة: يحل. من (ظ).

قال ابن عطية^(١): وحكى الزهراوي قولاً أنّ النسب من جهة البنين، والصهر من جهة البنات.

قلت: وذكر هذا القول النّحاس^(٢)، وقال: لأنّ المصاهرة من جهتين تكون.
وقال ابن سيرين: نزلت هذه الآية في النبي ﷺ وعليّ ؑ؛ لأنه جمعه معه نسب وصهر. قال ابن عطية^(٣): فاجتماعهما وكادة حرمة إلى يوم القيامة.
﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ على ما خلق ما يريد.

قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ لما عدّد النعم وبين كمال قدرته، عجب من المشركين في إشراكهم به من لا يقدر على نفع ولا ضرر، أي: إنّ الله هو الذي خلق ما ذكره، ثم هؤلاء بجهلهم^(٤) يعبدون من دونه أمواتاً جمادات لا تنفع ولا تضر.

﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ روي عن ابن عباس: «الكافر» هنا أبو جهل لعنه الله^(٥)؛ وشرحه أنّه يستظهر بعبادة الأوثان على أوليائه^(٦). وقال عكرمة: «الكافر» إبليس، ظهر على عداوة ربّه. وقال مطر^(٧): «الكافر» هنا الشيطان.

(١) في المحرر الوجيز ٢١٥/٤.

(٢) في إعراب القرآن ١٦٤/٣.

(٣) في المحرر الوجيز ٢١٥/٤، وما قبله منه.

(٤) في (م): لجهلهم.

(٥) أخرجه بنحوه الطبري ٤٧٨/١٧. دون قوله: لعنه الله، وهي من (م).

(٦) جاءت العبارة في إعراب القرآن للنحاس: أبو جهل وشيعته لأنه يستظهر بعبدة الأوثان على أولياءه.

(٧) في (م): مطرف. والمثبت من النسخ الخطية وإعراب القرآن للنحاس ١٦٤/٣ ورواية ابن عباس وعكرمة ومطر منه.

وقال الحسن: «ظهيراً» أي: مُعيناً للشيطان على المعاصي^(١). وقيل: المعنى؛ وكان الكافرُ على ربه هيناً ذليلاً، لا قَدْر له ولا وزن عنده؛ من قول العرب: ظهرت به، أي: جعلته خلف ظهرك، ولم تلتفت إليه^(٢). ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَاهُ وَرَاءَ كَتْمِ ظَهْرِنَا﴾ [هود: ٦٢] أي: هيناً ومنه قول الفرزدق:

تميم بن بَدْرِ^(٣) لا تكوننَّ حاجتي بِظَهْرٍ فلا يعيا عليَّ جوابها^(٤)
هذا معنى قول أبي عبيدة: وظهير بمعنى مظهر^(٥)، أي: كفر الكافر هيناً على الله تعالى، والله مستهينٌ به؛ لأنَّ كفره لا يضره.

وقيل: وكان الكافرُ على ربِّه الذي يعبده؛ وهو الصنم قوياً غالباً يعملُ به ما يشاء؛ لأنَّ الجمادَ لا قدرةَ له على دفع^(٦) ونفع.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ يريد بالجنة مبشراً ونذيراً من النَّار؛ وما أرسلناك وكيلاً ولا مسيطراً.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يريدُ على ما جئتمكم به من القرآن والوحي. و«من» للتأكيد.

﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ﴾: لكن من شاء؛ فهو استثناءٌ منقطع، والمعنى: لكن من شاء ﴿أَنْ

(١) أخرجه الطبري ٤٧٨/١٧.

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ٣٧٣/٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٩٧/٦.

(٣) في (م): قيس.

(٤) النكت والعيون ١٥٢/٤، والبيت في ديوان الفرزدق ٨٦/١، وجاءت رواية البيت فيه:

تميم بن زيد لا تهوننَّ حاجتي لديك ولا يعيا عليَّ جوابها

(٥) مجاز القرآن ٧٧/٢. وقاله أيضاً الطبري ٤٧٩/١٧. ورجحه.

(٦) بعدها في (م): ضر.

يَتَّخِذَ إِلَٰهًا مِمَّا سِوَىٰ اللَّهِ بِإِنْفَاقِهِ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَلْيُنْفِقْ. ويجوز أن يكون متصلاً
ويقدَّر حذفُ المضاف؛ التقدير: إِلَّا أُجْرَ ﴿مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَٰهًا مِمَّا سِوَىٰ اللَّهِ﴾ باتِّبَاعِ
ديني حتى ينالَ كرامةَ الدُّنيا والآخرة^(١).

قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ آلِهِي الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ آلِهِي الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ تقدَّم معنى التوكُّل في «آل عمران»
وهذه السورة^(٢) وأنه اعتمادُ القلب على الله تعالى في كُلِّ الأمور، وأنَّ الأسبابَ
وسائطَ أمرٍ بها من غير اعتمادٍ عليها.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ أي: نزهة الله تعالى عمَّا يُضِيفُهُ هؤلاء الكفارُ إليه^(٣) من
الشركاء. والتسبيحُ: التنزيه، وقد تقدَّم^(٤). وقيل: «وَسَبِّحْ» أي: وصلِّ له؛ وتُسَمَّى
الصلاةُ تسبيحاً. ﴿وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ أي: عليمًا، فيجازيهم بها.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ
عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى
الْعَرْشِ﴾ تقدَّم في الأعراف^(٥). و«الذي» في موضعٍ خفضٍ نعتاً للحي. وقال: «بَيْنَهُمَا»
ولم يقل: بينهما؛ لأنَّه أرادَ الصنفيين والنوعين والشئيين؛ كقول القُطامي^(٦):

ألم يحزُنك أنَّ حبالَ قيسٍ وتغلبَ قد تباينتَا انقطاعا

(١) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٢١٥.

(٢) ٥/ ٢٩٠-٢٩٢، وصر ٣٨٦-٣٨٧ من هذا الجزء.

(٣) في (د) و (م) يصفه، بدل: يضيفه، وفي (م) به، بدل: إليه.

(٤) ٤١٢/١.

(٥) ٩/ ٢٣٧.

(٦) في ديوانه ص ٣٢.

أراد: وحبال تغلب؛ فثنى، والحبال جمع؛ لأنه أراد الشيثين والنوعين^(١).
﴿الرَّحْمَنُ فَسَّكَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ قال الزَّجَّاج^(٢): المعنى: فاسأل عنه. وقد حكى هذا جماعة من أهل اللغة أن الباء تكون بمعنى «عن»؛ كما قال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١] وقال الشاعر:
هَلَّا سَأَلَتِ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ إِنَّ كُنْتُ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي^(٣)
وقال امرؤ القيس^(٤):
فإن تسألوني بالنساء فإنني خبيرٌ بأدواء النساءِ طبيبُ
أي: عن النساء، وعم لم تعلمي.
وأنكره علي بن سليمان وقال: أهل النظر ينكرون أن تكون الباء بمعنى «عن»؛ لأن في هذا إفساد المعاني^(٥)، [قال: ولكن هذا مثل] قول العرب: لو لقيت فلاناً للقيك به الأسد، أي: للقيك بلقائك إيَّاه الأسد؛ المعنى: فاسأل بسؤالك إيَّاه خبيراً^(٦). وكذلك قال ابن جبير: الخبير هو الله تعالى: ف «خبيراً» نصب على المفعول به بالسؤال^(٧).

قلت: قول الزجَّاج يُخْرِجُ عَلَى وَجْهِ حَسَنٍ، وهو أن يكون الخبير غير الله، أي: فاسأل عنه خبيراً، أي: عالماً به، أي: بصفاته وأسمائه.

(١) تفسير الطبري ٤٨٠/١٧، والبيت السالف فيه.

(٢) في معاني القرآن له ٧٣/٤.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٤٢/٥، والبيت لعنزة، وهو في ديوانه ص ٢٥.

(٤) كذا في النسخ. والبيت لعلقمة بن عبدة كما في تأويل مشكل القرآن ص ٤٢٧، وأدب الكاتب ص ٥٠٨.

(٥) بعدها في (ظ) منه، وجاءت العبارة في (م): لأن في هذا إفساداً لمعاني.

(٦) معاني القرآن للنحاس ٤٢/٥. وما سلف بين حاصرتين منه.

(٧) ينظر المحرر الوجيز ٢١٦/٤، وقول ابن جبير أخرجه الطبري ٤٨١/١٧.

وقيل: المعنى: فاسأل له خبيراً، فهو نصب على الحال من الهاء المضمرة. قال المهدوي: ولا يحسنُ حالاً إذ لا يخلو أن تكون الحال من السائل أو المسؤول. ولا يصحُّ كونها حالاً من الفاعل؛ لأنَّ الخبير لا يحتاج أن يسأل غيره. ولا يكون من المفعول؛ لأنَّ المسؤول عنه - وهو الرحمن - خبيرٌ أبداً، والحال في أغلب الأمر [لما] يتغيرُ وينتقل؛ إلا أن يُحمل على أنها حالٌ مؤكدة؛ مثل: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُبَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١]، فيجوز^(١).

وأما «الرَّحْمَنُ» ففي رفعه ثلاثة أوجه: يكون بدلاً من المضممر الذي في «استوى». ويجوز أن يكون مرفوعاً بمعنى: هو الرحمن. ويجوز أن يكون مرفوعاً بالابتداء، وخبره: «فاسأل به خبيراً». ويجوزُ الخفض، بمعنى: وتوكل على الحي الذي لا يموت الرَّحْمَنُ؛ يكون نعتاً. ويجوزُ النصبُ على المدح^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ أي: لله تعالى. ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ على جهة الإنكار والتعجب، أي: ما نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب^(٣).

وزعم القاضي أبو بكر ابن العربي أنهم إنما جهلوا الصفة لا الموصوف، واستدلَّ على ذلك بقوله: «وَمَا الرَّحْمَنُ»، ولم يقولوا: ومن الرَّحْمَن. قال ابن الحصار: وكأنه - رحمه الله - لم يقرأ الآية الأخرى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾^(٤) [الرعد: ٣٠].

(١) الكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/٥٢٣-٥٢٤. وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/١٦٥، وينظر مشكل إعراب القرآن.

(٣) تفسير البغوي ٣/٣٧٤.

(٤) قولاً ابن العربي وابن الحصار سلفاً ١/١٦٠.

﴿أَسْجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ هذه قراءة المدنيين والبصريين^(١)، أي: لِمَا تَأْمُرُنَا أنت يا محمد. واختاره أبو عبيد وأبو حاتم.

وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي: «يَأْمُرُنَا» بالياء. يعنون الرحمن؛ كذا تأوله أبو عبيد، قال: ولو أقرؤا بأنَّ الرحمن أمرهم ما كانوا كفاراً.

فقال النحاس^(٢): وليس يجب أن يتأوّل عن الكوفيين في قراءتهم هذا التأويل البعيد، ولكنَّ الأولى أن يكون التأويل لهم: أَسْجُدْ لِمَا يَأْمُرُنَا النبي ﷺ؛ فتصحَّ القراءة على هذا، وإن كانت الأولى أبين وأقرب مُتناولاً^(٣).

﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ أي: زادهم قول القائل لهم: اسجدوا للرحمن؛ نفوراً عن الدين. وكان سفيان الثوري يقول في هذه الآية: إلهي زادني لك خضوعاً ما زاد أعداءك نفوراً.

قوله تعالى: ﴿نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ ﴿٦١﴾

قوله تعالى: ﴿نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ أي: منازل؛ وقد تقدّم ذكرها^(٤).
﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ قال ابن عباس: يعني الشمس^(٥)؛ نظيره: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦]. وقراءة العامة: «سِرَاجًا» بالتوحيد. وقرأ حمزة والكسائي: «سُرُجًا»^(٦)، يريدون النجوم العظام الوقّادة. والقراءة الأولى عند أبي عبيد أولى؛ لأنه

(١) قرأ: تأمرنا؛ بالياء، من السبعة: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم. السبعة ص ٤٦٦، والتسير ص ١٦٤.

(٢) في إعراب القرآن له ١٦٥/٣. وما قبله منه.

(٣) في (م): تناوّل. وقال الطبري رحمه الله في تفسيره ٤٨٢/١٧ بعد ذكر القراءتين: والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراءة، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب.

(٤) ١٨٦/١٢.

(٥) ذكره عن ابن عباس النحاس في إعراب القرآن ١٦٦/٣، وأخرجه الطبري ٤٨٤/١٧ عن قتادة.

(٦) السبعة ص ٤٦٦، والتسير ص ١٦٤.

تَأْوَلُ أَنَّ السُّرُجَ: النجومُ وأنَّ البروجَ النجوم، [وليس يجبُ أن يُتَأَوَّلَ لهم هذا] فيجيء المعنى: نجوماً ونجوماً.

النَّحَّاسُ^(١): ولكنَّ التَّأْوِيلَ لهم أنَّ أَبَانَ بن تغلب قال: السُّرُجُ: النجومُ الدراري. الثعلبي: كَالزُّهْرَةَ والمَشْتَرِي وَرُحْلَ والسَّمَائِينَ^(٢) ونحوها.

﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ ينير الأرض إذا طلع. وَرَوَى عِصْمَةُ عن الأعمش: «وَقَمَرًا» بضمَّ القاف وإسكان الميم؛ وهذه قراءة شاذة، ولو لم يكن فيها إلا أنَّ أحمدَ بن حنبل - وهو إمامُ المسلمين في وقته - قال: لا تكتبوا ما يحكيه عِصْمَةُ الذي يروي القراءات، وقد أُولِعَ أبو حاتم السَّجِسْتَانِي بِذِكْرِ ما يرويه عِصْمَةُ هذا^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿خِلْفَةً﴾ قال أبو عبيدة: الخِلْفَةُ: كلُّ شيءٍ بعد شيءٍ، وكلُّ واحدٍ من الليل والنَّهَارِ يَخْلُفُ صاحبه^(٤)، ويقال للمبْطُون: أصابه خِلْفَةٌ، أي: قيامٌ وعودٌ يَخْلُفُ هذا ذاك. ومنه خِلْفَةُ النبات؛ وهو ورقٌ يخرج بعد الورق الأوَّل في الصيف^(٥). ومن هذا المعنى قولُ زهير بن أبي سُلمى:

بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِيْنَ خِلْفَةً وَأَظْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْتَمٍ^(٦)

(١) في إعراب القرآن ١٦٦/٣، و ما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) السمك: نجم معروف، وهما سماكان: رامج وأعزل. اللسان (سمك).

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٦٦/٣، وذكر هذه القراءة أيضاً ابن عطية في المحرر الوجيز ٢١٧/٤.

(٤) ذكر قول أبي عبيدة الواحدي في الوسيط ٣/٣٤٥، والطبرسي في مجمع البيان ١٩/١٢٣.

(٥) ينظر تهذيب اللغة ٧/٣٩٩ - ٤٠٠، ولسان العرب (خلف).

(٦) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٥. قال شارحه ثعلب: العين: البقر، الواحدة عَيْتَاءُ وَالطَّلَا: ولد البقرة وولد الظبية الصغير. اهـ. والمجتم: مكان الجنوم. معجم متن اللغة (جتم).

الرِّثْمُ: ولدُ الطَّيْبِي، وجمعه آرام؛ يقول: إذا ذهب فوجٌ جاء فوجٌ^(١).

ومنه قول الآخر يصف امرأةً تنتقل من منزل في الشتاء إلى منزل في الصيف
دَأْبًا^(٢):

ولها بالماطرُونَ^(٣) إذا أَكَلَ النَّمْلُ الَّذِي جَمَعَا
خَلْفَةً حَتَّى إِذَا أَزْتَبَعَتْ سَكَنْتُ مِنْ جِلَّتِي بِيَعَا^(٤)
في بيوت^(٥) وَسَطَ دَسْكَرَةٍ^(٦) حَوْلَهَا الزَّيْتُونَ قَدْ يَنَعَا
قال مجاهد: «خَلْفَةٌ» من الخِلاف؛ هذا أبيضٌ؛ وهذا أسود، والأوَّلُ أقوى^(٧).

وقيل: يتعاقبان في الضياء والظلام، والزيادة والنقصان^(٨). وقيل: هو من باب حذف
المضاف، أي: جعلَ الليلَ والنهارَ ذَوِي خِلْفَةٍ، أي: اختلاف^(٩).

﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكَرَ﴾ أي: يتذكر، فيعلم أنَّ الله لم يجعله كذلك عبثاً، فيعتبر في
مصنوعات الله، ويشكر الله تعالى على نِعَمِهِ عليه في العقل والفكر والفهم.

(١) تهذيب اللغة ٢٨٢/١٥.

(٢) اختلف في قائل هذه الأبيات. قال المبرد في الكامل ٤٩٨/٢: قال أبو عبيدة: هذا الشعر يُخْتَلَفُ فِيهِ. فبعضهم ينسبه إلى الأحوص، وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية قال أبو الحسن [علي بن سليمان الأخفش]: الصحيح أنه ليزيد. اهـ. ونسبها الجاحظ في الحيوان ١٠/٤ لأبي دهب.

(٣) الماطرون: موضع بالشام قرب دمشق. معجم البلدان ٤٢/٥-٤٣.

(٤) وقع في المصدرين السالفين: خرفَةٌ، بدل: خلفَةٌ. والأبيات برواية المصنف في تفسير الطبري ٤٨٨/١٧، والمححر الوجيز ٢١٧/٤ وعنه نقل المصنف. قال البغدادي في خزنة الأدب ٢٧٩/٣ (طبعة دار صادر): ارتبعت: دخلت في الربيع، وجلَّت: مدينة بالشام.

(٥) في المصادر: في قباب.

(٦) في المصادر عدا الحيوان للجاحظ: حول دسكرة، والدسكرة: يشبه قصرأ حوله بيوت - وجمعها دساكر - تكون للملوك. خزنة الأدب ٢٧٩/٣-٢٨٠.

(٧) المححر الوجيز ٢١٧/٤، وقول مجاهد في تفسيره ٤٥٥/٢، وأخرجه الطبري ٤٨٦/١٧.

(٨) تفسير البغوي ٣/٣٧٥.

(٩) الكشف ٣/٩٩.

وقال عمرُ بن الخطاب وابن عباس والحسن: معناه: من فاته شيءٌ من الخير بالليل أدركه بالنهار، ومن فاته بالنهار أدركه بالليل^(١).

وفي الصحيح: «ما من امرئٍ تكونُ له صلاةٌ بالليل، فغلبه عليها نومٌ، فيصلي ما بين طلوع الشمس إلى صلاة الظهر؛ إلا كتَبَ الله له أجرَ صلاته وكان نومُه عليه صدقةً»^(٢).

وروى مسلم^(٣) عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «من نامَ عن حزبه، أو عن شيءٍ منه فقرأه فيما^(٤) بين صلاة الفجر وصلاة الظهر؛ كتِبَ^(٥) له كأنما قرأه من الليل».

الثانية: قال ابن العربي^(٦): سمعتُ ذا الشهيد الأكبر يقول: إن الله تعالى خلَقَ العبدَ حيًّا عالماً، وبذلك كماله، وسلَّطَ عليه آفةَ النَّومِ، وضرورةَ الحَدَثِ، ونقصانَ الخِلقةِ، إذ الكمالُ للأوَّلِ الخالقِ، فمتى^(٧) أمكَنَ الرجلُ من دفعِ النومِ بقلَّةِ الأكلِ، والسهرِ في طاعةِ الله؛ فليفعَل. ومِن العَبْنِ العظيمِ أن يعيَشَ الرجلُ ستينَ سنةً، ينامُ ليَلها، فيذهبُ النصفُ من عمره لغواً، وينامُ سُدسَ النَّهارِ راحةً، فيذهبُ ثلثاه، ويبقى له من العمرِ عشرونَ سنةً، ومن الجهالةِ والسَّفاهةِ أن يُتَلَفَ الرجلُ ثلثي عُمره في لذةٍ فانية، ولا يُتَلَفَ عمره بسهرٍ في لذةٍ باقية عند الغنيِّ الوفيِّ، الذي ليس بعديم^(٨) ولا ظلوم.

(١) المحرر الوجيز ٢١٧/٤-٢١٨، وقول عمر بن الخطاب وابن عباس والحسن أخرجه الطبري ١٧/٤٨٥-٤٨٦.

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٤٤١)، وأبو داود (١٣١٤)، والنسائي ٣/٢٥٧ عن عائشة. دون قوله: فيصلي ما بين طلوع الشمس إلى صلاة الظهر. وهو بلفظ المصنف في أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٤١٦.

(٣) في صحيحه (٧٤٧).

(٤) في (ظ): ما. وليست في (د) و(ز). والمثبت من (م) وهو الموافق لصحيح مسلم.

(٥) في (د) و(ز): كتب الله.

(٦) في أحكام القرآن ٣/١٤١٦.

(٧) في (م) وأحكام القرآن لابن العربي: فما.

(٨) في النسخ الخطية: بعدم، والمثبت من (م)، وأحكام القرآن.

الثالثة: الأشياء لا تتفاضل بأنفسها؛ فإن الجواهر والأعراض من حيث الوجود متماثلة، وإنما يقع^(١) التفاضل بالصفات. وقد اختلف أيّ الوقتين أفضل، الليل أو النهار. وفي الصوم غنية في الدلالة، والله أعلم؛ قاله ابن العربي^(٢).

قلت: والليل عظيم قدره؛ أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بقيامه فقال: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، وقال: ﴿قُرْ آيَاتِ﴾ [المزمل: ٢] على ما يأتي بيانه. ومدح المؤمنين على قيامه فقال: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] وقال عليه الصلاة والسلام: «والصدقة تُطفئُ الخطيئةَ كما يُطفئُ الماءُ النَّارَ، وصلاةُ الرَّجُلِ في جوف الليل»^(٣) وفيه ساعةٌ يُستجاب فيها الدعاء، وفيه يُنزلُ الربُّ تبارك وتعالى^(٤) حسبما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

الرابعة: قرأ حمزة وحده: «يَذْكُرَ» بسكون الدال وضم الكاف^(٥) وهي قراءة ابن وثاب وطلحة والنخعي^(٦). وفي مصحف أبي: «يَتَذَكَّرُ» بزيادة تاء^(٧). وقرأ الباقون: «يَذَكَّرُ» بتشديد الكاف^(٨).

ويَذَكَّرُ وَيَذَكَّرُ بمعنى واحد^(٩). وقيل: معنى «يَذَكَّرُ» بالتخفيف، أي: يذكر ما نسيه

(١) في النسخ الخطية: معنى . والمثبت من (م) وأحكام القرآن.

(٢) في أحكام القرآن ١٤١٧/٣.

(٣) هو قطعة من حديث معاذ بن جبل ؓ. أخرجه أحمد (٢٢٠١٦)، والترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (١١٣٣٠)، وابن ماجه (٣٩٧٣).

(٤) يشير إلى حديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم (٧٥٨): «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُنزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ. فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

(٥) السبعة ص ٤٦٦، والتيسير ص ١٦٤.

(٦) ينظر البحر المحيط ٥١٢/٦.

(٧) قراءة أبي بن كعب ذكرها الفراء في معاني القرآن ٢/٢٧١، و الزمخشري في الكشاف ٣/٩٩.

(٨) المحرر الوجيز ٤/٢١٨. والكلام من أول المسألة منه.

(٩) تفسير الطبري ١٧/٤٨٩.

في أحد الوقتين في الوقت الثاني، أو ليذكر^(١) تنزيه الله وتسيحه فيها.

﴿أَوْ أَرَادَ شُكْرًا﴾ يقال: شكر يشكر شكراً وشكوراً؛ مثل: كفر يكفر كُفراً وكُفوراً. وهذا الشكر^(٢) على أنهما^(٣) جعلهما قواماً لمعاشهم، وكأنهم لما قالوا: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ قال^(٤): هو الذي يَقْدِر على هذه الأشياء^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾. لما ذكر جهالات المشركين، وطعنهم في القرآن والنبوة؛ ذكر عبادة المؤمنين أيضاً، وذكر صفاتهم، وأضافهم إلى عبوديته تشريفاً لهم، كما قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١] وقد تقدّم. فمن أطاع الله وعبده، وشغل سمعه وبصره ولسانه وقلبه بما أمره؛ فهو الذي يستحق اسم العبودية، ومن كان بعكس هذا شمله قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩] يعني في عدم الاعتبار؛ كما تقدّم في «الأعراف»^(٦).

وكانه قال: وعباد الرحمن هم الذين يمشون على الأرض هوناً^(٧)، فحذف «هم»؛ كقولك: زيد الأمير، أي: زيد هو الأمير. ف«الَّذِينَ» خبر مبتدأ محذوف؛ قاله الأخفش^(٨).

(١) في (ظ): ليذكروا.

(٢) في (م): الشكور.

(٣) في (ظ): أنه.

(٤) في النسخ عدا (ظ): قالوا. والمثبت من (ظ)

(٥) ينظر تفسير الرازي ١٠٧/٢٤.

(٦) ٣٩٠/٩.

(٧) لفظة: هوناً، من (ظ).

(٨) كلام الأخفش في معاني القرآن له ٦٤٢/٢ - ٦٤٣، وإعراب القرآن للنحاس ١٦٦/٣: أن قوله:

﴿وعباد الرحمن..﴾ مبتدأ ليس له خبر إلا في المعنى.

وقيل: الخبرُ قوله في آخر السورة: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا كَسَبُوا﴾ [الآية: ٧٥] وما بين المبتدأ والخبر أوصافٌ لهم، وما تعلق بها؛ قاله الزَّجَّاجُ^(١). قال: ويجوز أن يكون الخبر: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ﴾.

و«يَمْشُونَ» عبارةٌ عن عيشهم، ومدَّة حياتهم، وتصرفاتهم، فذكر من ذلك العُظم؛ لاسيما وفي^(٢) الانتقال في الأرض وهي^(٣) معاشره الناس وخلطتهم.

قوله تعالى: ﴿هُوَئِلَّا﴾ الهَوْنُ مصدر الهَيَّن، وهو من السَّكِينَةِ والوَقَارِ. وفي التفسير: يمشون على الأرض حُلَمَاءُ^(٤) متواضعين، يمشون في اقتصاد.

والْقَصْدُ والتَّوَدُّةُ وحُسْنُ السَّمْتِ من أخلاق النبوة^(٥). وقال ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ فِي الْإِيضَاعِ»^(٦).

ورُوي في صفته ﷺ أَنَّهُ إِذَا زَالَ؛ زَالَ تَقْلَعًا، وَيَخْطُو تَكْفُؤًا، وَيَمْشِي هَوْنًا، ذَرِيعَ الْيَشِيَةِ إِذَا مَشَى، كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ^(٧).

(١) في معاني القرآن له ٧٥/٤، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ١٦٧/٣.

(٢) بعدها في (م) ذلك.

(٣) في (م): وهو. والمثبت من النسخ الخطية وهو الموافق للمحرر الوجيز ٢١٨/٤ والكلام منه، وينظر البحر المحيط ٥١٢/٦.

(٤) في النسخ الخطية: حكماء. والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في الوسيط للواحد ٣٤٥/٣. والقول فيه منسوب للحسن وعطاء والضحاك ومقاتل.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ١٤١٧/٣.

(٦) أخرجه أحمد (٢٠٩٩)، والبخاري (١٦٧١) عن ابن عباس. واللفظ الذي ذكره المصنف هو لفظ البخاري. وقال الإمام البخاري - رحمه الله - إثر الحديث: أوضاعوا: أسرعوا.

(٧) هو قطعة من حديث هند بن أبي هالة؛ أخرجه الترمذي في الشمائل (٧)، والطبراني في الكبير

٢٢/ (١٥٥) - (١٥٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٣٠)، وأخرجه القاضي عياض في الشفا ١/ ٣٣٤

(شرح الشفا للملا علي القاري)؛ بإسنادين أحدهما من طريق الترمذي. قال الهيثمي في مجمع الزوائد

٨/ ٢٧٧: رواه الطبراني وفيه من لم يسم، وقال المناوي في فيض القدير ٥/ ٩٠: رمز

المصنف [السيوطي] إلى حسنه، ولعله لاعتضاده عنده اه. ينظر تنزيه الشريعة المرفوعة ١/ ٤٦، وينظر

كلام الملا علي القاري حول إسنادي القاضي عياض في شرح الشفا ١/ ٣٣٤ - ٣٣٦.

التقلع: رفع الرجل بقوة، والتكفؤ: الميل إلى سنن المشى^(١) وقصده، والهون: الرفق والوقار، والدريع: الواسع الخطو^(٢)، أي: إن مشيه كان يرفع فيه رجله^(٣) بسرعة، ويمد خطوه؛ خلاف مشية المختال، ويقصد سمته^(٤)؛ وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة. كما قال: كأنما ينحط من صبب^(٥)؛ قاله القاضي عياض^(٦).

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسرع جبلة؛ لا تكلفاً^(٧).

قال الزهري: سرعة المشي تذهب ببهاء الوجه. قال ابن عطية^(٨): يريد الإسراع الحثيث لأنه يجل بالوقار، والخير في التوسط. وقال زيد بن أسلم: كنت أسأل عن تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ فما وجدت من ذلك شفاء، فرأيت في المنام من جاءني فقال لي: هم الذين لا يريدون أن يفسدوا في الأرض^(٩).

قال القشيري: وقيل: لا يمشون لإفساد ومعصية، بل في طاعة الله والأمر بالمباحة من غير هوك^(١٠). وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]. وقال ابن عباس: بالطاعة والمعروف والتواضع^(١١).

(١) في (م): المشي، والمثبت من النسخ الخطية. وهو الموافق للمطبوع من الشفا. وفي شرح الشفا للملا علي القاري ٣٥٦/١: سنن المشي. قال: وفي نسخة: الممشى؛ على أنه مصدر ميمي أو اسم مكان. اهـ وسنن الطريق: نهجه وجهته. القاموس (سنن).

(٢) في (م): الخطا.

(٣) في (م): رجله.

(٤) أي: مقصده في طريقه بدون ميل عن وسطه؛ لقوله سبحانه: ﴿وَأَقْبِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [لقمان: ١٩]. شرح الشفا للملا علي القاري ٣٥٦/١.

(٥) أي: منحدر. شرح الشفا ٣٥٧/١.

(٦) في الشفا ٣٠٧/١، ٣١٨.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ١٤١٧/٣.

(٨) في المحرر الوجيز ٢١٨/٤، وكلام الزهري السالف منه.

(٩) أخرجه الطبري ٤٩١/١٧.

(١٠) في (د): هول، وفي (ظ): هزل، والمثبت من (ز) و(م)، والهوك: الحمق. القاموس المحيط (هوك).

(١١) أخرجه الطبري ٤٩١/١٧. وفيه: والعفاف. بدل: والمعروف.

الحسن: حلماء؛ إن جُهِل عليهم لم يَجْهَلُوا^(١). وقيل: لا يتكَبَّرُونَ على الناس^(٢). قلت: وهذه كلها معانٍ متقاربة، ويجمعها العلمُ بالله، والخوفُ منه، والمعرفةُ بأحكامه، والخشيةُ من عذابه وعقابه؛ جَعَلْنَا اللهُ منهم بفضله ومنه. وذهبت فرقةٌ إلى أن «هُوناً» مرتبٌ بقوله: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ﴾، إي^(٣): إن المشي هو هون^(٤).

قال ابنُ عطية^(٥): ويُشبه أن يُتَأَوَّلَ هذا على أن تكون أخلاقُ ذلك الماشي هُوناً مناسبةً لمشيهِ، فيرجعُ القولُ إلى نحو ما بيَّناه. وأمَّا أن يكون المرادُ صفةَ المشي وحده فباطل؛ لأنَّه رَبُّ ماشٍ هُوناً رويداً وهو ذئبٌ أطلس^(٦). وقد كان رسولُ الله ﷺ يَتَكَفَّأُ في مشيه كأنما يمشي^(٧) في صيب. وهو عليه الصلاة والسلام الصدرُ في هذه الأمة. وقوله عليه الصلاة والسلام: «من مشى منكم في طمعٍ فليمش رويداً»^(٨) إنما أراد في عَقْدِ نفسه، ولم يُردِ المشي وحده، ألا ترى أن المبطلين المتحلِّين بالدين تَمَسَّكُوا بصورة المشي فقط؛ حتى قال فيهم الشاعر ذمًّا لهم:

كُلُّهُمْ يَمْشِي رُوَيْدًا كُلُّهُمْ يَظْلُبُ صَيْدًا^(٩)

(١) أخرجه أحمد في الزهد ص ٣٣٨، والطبري ٤٩٢/١٧. ووقع في (ظ) بدل لفظ حلماء: حكماء، وفي (ز) والمحمر الوجيز: حلماء، والمثبت من (د) و(م)، وهو الموافق للمصادر.

(٢) أخرجه الطبري ٤٩٢/١٧ عن ابن زيد.

(٣) لفظة: أي. من (ظ).

(٤) في (ظ): الهون.

(٥) في المحمر الوجيز ٢١٨/٤. وما قبله منه.

(٦) الأطلس: الذئب الأمعط الذي تساقط شعره، وهو أخبثها. معجم متن اللغة (طلس).

(٧) في (م) ينحط، والمثبت من النسخ الخطية والمحمر الوجيز.

(٨) قطعة من حديث عبد الله بن مسعود ؓ أخرجه القاضي في مسند الشهاب (١٩٩)، وفيه إبراهيم بن زياد العجلي؛ قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٣٢/١: قال الأزدي: متروك الحديث. اهـ. وذكر ابن الجوزي طرفه في الموضوعات (٨٧٢).

(٩) المحمر الوجيز ٢١/٤، والبيت لأبي جعفر المنصور كما في عيون الأخبار لابن قتيبة ٢٠٩/١، =

قلت: وفي عكسه أنشد ابن العربي^(١) لنفسه.

تواضعتُ في العلياء والأصلُ كابرٍ وحزتُ قصابَ السَّبِقِ بالهَوْنِ في الأمرِ
سكونٌ فلا خبثُ السريرة أصله وجُلُّ سكونِ النَّاسِ من عِظَمِ الكبرِ
قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ قال النَّحَّاس^(٢): ليس «سَلَامًا»
من التسليم؛ إِنَّمَا هو من التَّسَلُّمِ؛ تقول العرب: سلاماً، أي: تَسَلَّمًا^(٣) منك، أي:
براءةً منك. منصوبٌ على أحد أمرين: يجوز أن يكون منصوباً بـ «قَالُوا»، ويجوز أن
يكون مصدرًا؛ وهذا قولٌ سيبويه^(٤).

قال ابن عطية^(٥): والذي أقوله: إِنَّ «قَالُوا» هو العاملُ في «سَلَامًا» لأنَّ المعنى:
قالوا هذا اللفظ. وقال مجاهد: معنى «سَلَامًا»: سَدَادًا^(٦). أي: يقولُ للجاهل كلاماً
يدفعه به برفقٍ ولين. فـ «قَالُوا» على هذا التأويل عاملٌ في قوله: «سَلَامًا» على طريقة
النحوين؛ وذلك أَنَّهُ بمعنى قولاً.

وقالت فرقةٌ: ينبغي للمخاطب أن يقولَ للجاهل: سلاماً؛ بهذا اللفظ. أي:
سَلَّمنا سلاماً أو تسليماً، ونحو هذا، فيكون العاملُ فيه فعلاً من لفظه على طريقة
النحوين.

مسألة: هذه الآية كانت قبل آية السيف، نُسخ منها ما يخصُّ الكفرة وبقى أدبها
في المسلمين إلى يوم القيامة. وذكر سيبويه النسخَ في هذه الآية في كتابه^(٧)، وما تكلم

= والعقد الفريد لابن عبد ربه ١٦٥/٣. وفيهما: كلکم. بدل: کلهم. وخاتل. بدل: يطلب. وهو في
مدح عمرو بن عبيد وبعده: غير عمرو بن عبيد.

(١) في أحكام القرآن ١٤١٧/٣.

(٢) في النسخ والمنسوخ ٥٦٨/٢.

(٣) في النسخ الخطية: تسليماً. والمثبت من (م) وهو الموافق للمصادر.

(٤) في الكتاب ٣٢٤/١.

(٥) في المحرر الوجيز ٢١٨/٤.

(٦) أخرجه الطبري ٤٩٤/١٧.

(٧) ٣٢٥/١.

فيه على نسخٍ سواه؛ ورجَّح به أنَّ المرادَ السلامةَ لا التسليم؛ لأنَّ المؤمنين لم يؤمروا
فَقَطْ بِالسَّلَامِ عَلَى الْكُفْرَةِ. وَالآيَةُ مَكِّيَّةٌ، فَنَسَخَتْهَا آيَةُ السَّيْفِ^(١).

قال النَّحَّاسُ^(٢): ولا نعلم لسيبويه كلاماً في معنى النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ إِلَّا فِي هَذِهِ
الآية.

قال سيبويه^(٣): لم يؤمر المسلمون يومئذٍ أَنْ يُسَلِّمُوا عَلَى الْمُشْرِكِينَ، لَكِنَّهُ عَلَى
معنى قوله: تَسَلَّمًا^(٤) مِنْكُمْ، وَلَا خَيْرَ وَلَا شَرًّا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ.

المبرِّد: كان ينبغي أَنْ يُقَالَ: لم يؤمر المسلمون يومئذٍ بحربهم ثُمَّ أَمَرُوا بِحَرْبِهِمْ.
محمد بن يزيد^(٥): أخطأ سيبويه في هذا وأساء العبارة.

ابن العربي^(٦): لم يؤمر المسلمون يومئذٍ أَنْ يُسَلِّمُوا عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَلَا نُهُوا
عَنْ ذَلِكَ، بَلْ أَمَرُوا بِالصَّفْحِ وَالْهَجْرِ الْجَمِيلِ، وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقِفُ
عَلَى أُنْدِيَتِهِمْ وَيُحْيِيهِمْ وَيُدَانِيهِمْ، وَلَا يَدَاهِنُهُمْ. وَقَدْ اتَّفَقَ النَّاسُ عَلَى أَنَّ السَّفِيَةَ مِنْ
الْمُؤْمِنِينَ إِذَا جَفَاكَ يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ لَهُ: سَلَامٌ عَلَيْكَ.

قلت: هذا القول أشبهُ بدلائل السنَّة. وقد بيَّنا في سورة مريم^(٧) اختلاف العلماء
في جواز التسليم على الكفار، فلا حاجة إلى دعوى النَّسْخِ؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقد ذكر النضر بن شميل قال: حدثني الخليل قال: أتيتُ أبا ربيعةَ الأعرابيَّ،
وكان من أعلم من رأيت، فإذا هو على سطح، فسألنا، فردَّ^(٨) علينا السلام، وقال
لنا: استووا. وبقينا متحيرين ولم ندر ما قال. فقال لنا أعرابيٌّ إلى جنبه: أَمَرَكَمْ أَنْ

(١) المحرر الوجيز ٢١٨/٤.

(٢) في النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ ٥٦٩/٢ - ٥٧٠. وكلام سيبويه والمبرِّد الآتيان منه.

(٣) في الكتاب ٣٢٥/١.

(٤) في (د) و(ظ) تسليماً. والمثبت من (ز) و(م)، وهو الموافق للكتاب.

(٥) هو المبرِّد.

(٦) في أحكام القرآن ١٤١٨/٣.

(٧) عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾ [الآية: ٤٧].

(٨) في (د) و(ز): فلما سلمنا فرد، وفي (م): فلما سلمنا رد، والمثبت من (ظ) والتهميد.

ترتفعوا. قال الخليل: هو من قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]. فصعدنا إليه فقال: هل لكم في خبزٍ فطير، ولبنٍ هجير، وماءٍ نَمِير؟ فقلنا: الساعةَ فارقناه. فقال: سلاماً. فلم ندر ما قال. قال: فقال الأعرابي: إنَّه سالمكم^(١)؛ مُتاركة^(٢) لا خيرَ فيها ولا شرٍّ. فقال الخليل: هو من قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾.

قال ابن عطية: ورأيتُ في بعض التواريخ أنَّ إبراهيم بن المهدي^(٣) - وكان من المائلين على علي بن أبي طالب ؑ - قال يوماً بحضرة المأمون وعنده جماعة: كنتُ أرى علي بن أبي طالب في النوم، فكنتُ أقولُ له: من أنت؟ فكان يقول: علي بن أبي طالب. فكنتُ أجيء معه إلى قنطرة، فيذهبُ، فيتقدمني في عبورها، فكنتُ أقول: إنَّما تدَّعي هذا الأمر بامرأة، ونحن أحقُّ به منك، فما رأيتُ له في الجواب بلاغةً كما يُذكر عنه. قال المأمون: وبماذا جاوبك؟ قال: فكان يقولُ لي: سلاماً سلاماً^(٤). قال الراوي: وكان إبراهيم بن المهدي لا يحفظ الآية. أو ذهبَتْ عنه في ذلك الوقت. فبَّه المأمون على الآية من حَضْرَه وقال: هو والله يا عم علي بن أبي طالب، وقد جاوبك بأبلغ جواب، فَخَزِي^(٥) إبراهيم واستحيا. وكانت رؤيا لا محالة صحيحة^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ قال الزجاج^(٧): باتَ الرجل

(١) في (د) و(م): سألكم. والمثبت من (ز) و(ظ) وهو الموافق للتمهيد ١٣٢/٧ والكلام منه.

(٢) في (د) و(ز): منازلة.

(٣) هو الأمير أبو إسحاق. الملقب بالمبارك. كان، فصيحاً، بليغاً، عالماً، أديباً، شاعراً، رأساً في فن الموسيقى. بوع بالخلافة زمن المأمون، ثم هُزم جمع إبراهيم، واختفى إبراهيم زماناً إلى أن ظفر به المأمون، فعفا عنه. توفي سنة أربع وعشرين ومئتين. ينظر سير أعلام النبلاء ١٠/٥٥٧ - ٥٦١.

(٤) لفظة: سلاماً (الثانية) من (ز) و(ظ) والمصادر.

(٥) في المحرر الوجيز: فحزن.

(٦) المحرر الوجيز ٤/٢١٩. وذكر هذه القصة الأصفهاني في الأغاني ١٠/١٢٦.

(٧) في معاني القرآن له ٤/٧٥.

بَيِّتُ: إذا أدركهُ اللَّيْلُ، نَامَ أو لم يَنِم. قال امرؤ القيس^(١):

فبتنا قياماً عند رأس جوادنا
يزاولنا عن نفسه ونزاوله^(٢)
وأنشدوا في صفة الأولياء:

امنع جفونك أن تذوق مناماً
وأذِرِ الدموعَ على الخدودِ سِجَاماً^(٣)
واعلم بأنك ميتٌ ومَحَاسِبٌ
يا من على سَخَطِ الجليل أقاما
لله قومٌ أخلصوا في حبه
فرضي بهم واختصَّهُم خُدَاماً
قومٌ إذا جنَّ الظلامُ عليهم
باتوا هنالك سُجَّداً وقياماً
خُمَصَ البطونِ من التعفُّفِ ضَمَّراً^(٤)
لا يعرفونَ سوى الحلالِ طعاماً^(٥)

وقال ابنُ عباس: من صَلَّى ركعتين أو أكثر بعد العشاء، فقد باتَ لله ساجداً وقائماً^(٦). وقال الكلبيُّ: من أقام ركعتين بعد المغرب، وأربعاً بعد العشاء، فقد باتَ ساجداً وقائماً.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ

غَرَامًا ﴿١٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ أي: هم مع طاعتهم مشفقون خائفون وجِلُّون من عذاب الله. ابن عباس: يقولون ذلك في سجودهم وقيامهم.

(١) كذا في النسخ، والبيت لزهير، وهو في ديوانه ص ١٣٢.

(٢) في ديوان زهير: فبتنا عراً. قال شارحه ثعلب: عراً: مؤترزون تجردوا للفرس من صعوبته. يزاولنا عن نفسه ونزاوله: يعالجنا ونعالجه، ويجذبنا ونجذبه.

(٣) سجَمَ الدمع: سال. مختار الصحاح (سجم).

(٤) في (د) و(ز): من الحرام تعففاً.

(٥) لم تقف عليها.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ٣/٣٤٥ من طريق الكلبي عن ابن عباس.

﴿إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي: لازماً دائماً غير مفارق، ومنه سُمِّيَ الغريم؛ لملازمته. ويقال: فلانٌ مُغرَّمٌ بكذا، أي: لازمٌ له مُولَعٌ به. وهذا معناه في كلام العرب فيما ذكر ابن الأعرابي وابن عرفة وغيرهما. وقال الأعشى^(١):

إِنَّ يُعَاقِبَ يَكُنْ غَرَامًا وَإِنْ يَعِطُ جَزِيلاً فَإِنَّهُ لَا يَبَالِي
وقال الحسن: قد علموا أن كلَّ غريمٍ يُفَارِقُ غريمه إِلَّا غريمَ جهنم^(٢).

وقال الرَّجَّاج^(٣): الغرامُ أشدُّ العذاب. وقال ابن زيد: الغرامُ الشرُّ^(٤). وقال أبو عبيدة^(٥): الهلاك. والمعنى واحد. وقال محمد بن كعب: طالَبهم الله تعالى بثمان النعيم في الدنيا، فلما لم^(٦) يأتوا به؛ غَرَّمهم^(٧) ثمنها بإدخالهم النار.

﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ أي: بئسَ المُسْتَقَرُّ وبئسَ المُقَامُ، أي: إنهم يقولون ذلك عن علم، وإذا قالوه عن علم كانوا أعرَفَ بِعِظَمِ قدر ما يطلبون، فيكون ذلك أقرب إلى النَّجْحِ.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾ اختلفَ المفسرون في تأويل هذه الآية. فقال النَّحَّاس^(٨): ومن أحسن ما قيل في معناه أن من أنفق في غير طاعة الله فهو

(١) في ديوانه ص ٥٩ .

(٢) أخرجه الطبري ٤٩٦/١٧ .

(٣) في معاني القرآن له ٧٥/٤ .

(٤) أخرجه الطبري ٤٩٦/١٧ .

(٥) في مجاز القرآن ٨٠/٢ .

(٦) في (د) و(ز) و(م): فلم يأتوا. والمثبت من (ظ) ومعاني القرآن للنحاس ٤٨/٥، وقول محمد بن كعب فيه، وأخرجه الطبري ٤٩٦/١٧ .

(٧) في (م) فأغرمهم.

(٨) في إعراب القرآن له ١٦٧/٣ - ١٦٨ . والقول فيه بإسناده عن أبي عبد الرحمن الحبلي.

الإسراف، ومن أمسك عن طاعة الله عزَّ وجلَّ فهو الإقتار، ومن أنفق في طاعة الله تعالى فهو القوام. وقال ابن عباس: من أنفق مئة ألف في حقِّ فليس بسرف، ومن أنفق درهماً في غير حقِّه فهو سرف، ومن منع من حقِّ عليه فقد قتر^(١). وقاله مجاهد وابن زيد وغيرهما^(٢). وقال عون بن عبد الله: الإسرافُ أن تُنفقَ مالَ غيرك^(٣).

قال ابن عطية^(٤): وهذا ونحوه غير مرتبط بالآية، والوجهُ أن يُقال: إنَّ النفقة في معصية أمرٌ قد حَظرت الشريعةُ قليله وكثيره، وكذلك التعدي على مال الغير، وهؤلاء الموصوفون مُنزّهون عن ذلك، وإنما التأديب في هذه الآية هو في نفقة الطاعات، وفي^(٥) المباحات، فأدبُ الشرع فيها ألا يُفِرط الإنسان حتى يُضيع حقاً آخر، أو عيالاً ونحو هذا، وألاً يضيِّق أيضاً ويُقتَر حتى يُجيع العيال ويُفِرط في الشح، والحسن في ذلك هو القوام، أي: العدل، والقوام في كلِّ واحدٍ بحسب عياله وحاله، وخِفَّة ظهره وصبره وجَلده على الكسب، أو ضدُّ هذه الخصال، وخيرُ الأمور أوساطها، ولهذا ترك رسول الله ﷺ أبا بكرٍ أن يتصدَّق بجميع ماله^(٦)، لأنَّ ذلك وسطٌ بنسبة جَلده وصبره في الدِّين، ومنع غيره من ذلك. ونعم ما قال إبراهيم النَّخعي: هو الذي لا يُجيع ولا يُعري، ولا يُنفقُ نفقةً يقول الناسُ: قد أسرف^(٧). وقال يزيد بن أبي حبيب: هم الذين لا يلبسون الثيابَ لجمال، ولا يأكلون طعاماً للذة^(٨).

وقال يزيد أيضاً في هذه الآية: أولئك أصحابُ محمدٍ ﷺ؛ كانوا لا يأكلون طعاماً

(١) أخرجه الطبري عن ابن عباس ٤٩٧/١٧ - ٤٩٨ بنحوه.

(٢) المحرر الوجيز ٢٢٠/٤، وأخرج قوليهما الطبري ٤٩٨/١٧.

(٣) أخرجه الطبري ٥٠٠/١٧ - ٥٠١.

(٤) في المحرر الوجيز ٢٢٠/٤. وما قبله منه.

(٥) في النسخ: في، بدون واو، والمثبت من المحرر الوجيز.

(٦) أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥).

(٧) أخرجه الطبري ٤٩٩/١٧.

(٨) المحرر الوجيز ٢٢٠/٤.

لِلتَّعْمِ وَاللَّذَّةِ، وَلَا يَلْبَسُونَ ثَوْباً^(١) لِلْجَمَالِ، وَلَكِنْ كَانُوا يَرِيدُونَ مِنَ الطَّعَامِ مَا يَسُدُّ عَنْهُمْ الْجُوعَ، وَيَقْوِيهِمْ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِمْ، وَمِنَ اللَّبَاسِ مَا يَسْتُرُ عَوْرَاتِهِمْ، وَيُكْنِثُهُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ^(٢).

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز حين زوجه ابنته فاطمة: ما نفقتك؟ فقال له عمر: الحسنه بين سيئين، ثم تلا الآية. وقال عمر بن الخطاب: كفى بالمرء سرفاً ألا يشتهي شيئاً إلا اشتراه فأكله^(٣).

وفي سنن ابن ماجه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنَ السَّرْفِ أَنْ تَأْكُلَ كُلَّ مَا اشْتَهَيْتَ»^(٤).

وقال أبو عبيدة: لم يزيدوا على المعروف ولم يخلوا. كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقال الشاعر:

وَلَا تَعْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ وَافْتَصِدْ كِلَا ظَرْفَيْ قَصْدِ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ^(٥)
وقال آخر:

إِذَا الْمَرْءُ أَعْطَىٰ نَفْسَهُ كُلَّ مَا اشْتَهَتْ وَلَمْ يَنْهَهَا تَأَقَّتْ إِلَىٰ كُلِّ بَاطِلٍ
وَسَاقَتْ إِلَيْهِ الْإِثْمَ وَالْعَارَ بِالَّذِي دَعَتْهُ إِلَيْهِ مِنْ حَلَاوَةِ عَاجِلٍ^(٦)

وقال عمر لابنه عاصم: يا بني، كُلْ فِي نِصْفِ بَطْنِكَ؛ وَلَا تَطْرُخْ ثَوْباً حَتَّىٰ

(١) في (م): ثياباً.

(٢) تفسير البيهقي ٣/٣٧٦، وأخرجه الطبري ١٧/٥٠٠. دون قوله: أولئك أصحاب محمد ﷺ. وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/٢٧٢٥ (١٥٣٧٧) مختصراً.

(٣) المحرر الوجيز ٤/٢٢٠، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٧١.

(٤) سنن ابن ماجه (٣٣٥٢). وينظر تنزيه الشريعة المرفوعة ٢/٢٥٦، وفيض القدير ٢/٥٢٧. وسلف ٩/٢٠٢.

(٥) البيت لأبي سليمان الخطابي كما نسبه له الثعالبي في يتيمة الدهر ٤/٣٨٥، وينظر خزائن الأدب ٢/١٢٣ وسلف ٧/٢٢٩.

(٦) البيتان لحسين بن محمد الملقب بالبارع البغدادي، كما في معجم الأدباء ١٠/١٥٣.

تَسْتَخْلِقُهُ، وَلَا تَكُنْ مِنْ قَوْمٍ يَجْعَلُونَ مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ فِي بطونهم وعلى ظهورهم. ولحاتم طي^(١):

إذا أنت قد أعطيتَ بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى الذم أجمعاً

﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ قرأ حمزة والكسائي والأعمش وعاصم ويحيى بن وثاب - على اختلاف عنهما - «يَقْتُرُوا» بفتح الياء وضمّ التاء، وهي قراءة حسنة؛ من قَتَرَ يَقْتُرُ. وهذا القياس في اللّازم، مثل: قَعَدَ يَقْعُدُ. وقرأ أبو عمرو بن العلاء وابن كثير بفتح الياء وكسر التاء؛ وهي لغة معروفة حسنة. وقرأ أهل المدينة وابن عامر وأبو بكر عن عاصم بضمّ الياء وكسر التاء^(٢). قال الثعلبي: كلّها لغات صحيحة.

النَّحَّاس^(٣): و تَعَجَّبَ أبو حاتم من قراءة أهل المدينة هذه؛ لأنّ أهل المدينة عنده لا يقع في قراءتهم الشاذّ، وإنّما يقال: أَقْتَرُ يَقْتُرُ: إذا افتقر، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدْرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، وتأوّل أبو حاتم لهم أنّ المسرف يفتقر سريعاً. وهذا تأويل بعيد، ولكنّ التأويل لهم أنّ أبا عمّر الجرمي حكى عن الأصمعيّ أنه يقال للإنسان إذا ضيّق: قَتَرَ يَقْتُرُ وَيَقْتُرُ [وقْتَرُ يَقْتُرُ]، وأقْتَرُ يُقْتَرُ^(٤). فعلى هذا تصحّ القراءة. وإن كان فتح الياء أصحّ وأقرب متناولاً، وأشهر وأعرف.

وقرأ أبو عمرو والناس: «قَوَاماً» بفتح القاف؛ يعني: عدلاً. وقرأ حسان بن عبد الرحمن: «قِوَاماً» بكسر القاف، أي: مبلغاً وسدّاداً وملاك حال^(٥). والقوام

(١) في ديوانه ص ٦٨، وسلف ١٩٨/٩.

(٢) السبعة ص ٤٦٦، والتيسير ص ١٦٤، ورواية أبي بكر (وهو شعبة) عن عاصم بضمّ الياء وكسر التاء؛ ذكرها ابن مجاهد في السبعة.

(٣) في إعراب القرآن ١٦٧/٣.

(٤) وقعت العبارة في النسخ الخطية: قتر يقتر، وقتر يقتر، وفي (م): قتر يقتر ويقتر، وأقتر يقتر. والمثبت من إعراب القرآن للنحاس.

(٥) المحرر الوجيز ٢٢٠/٤، و«قواماً» بفتح القاف هي قراءة العشرة، وقراءة حسان بن عبد الرحمن في القراءات الشاذة ص ١٠٥، والمحتسب ١٢٥/٢. وحسان بن عبد الرحمن قال عنه ابن جني في المحتسب: صاحب عائشة. ولم نقف له على ترجمة.

بالكسر^(١): ما يدومُ عليه الأمر ويستقرّ. وقيل: هما لغتان بمعنى.

و«قَوَامًا» خبرُ كان، واسمها مقدرٌ فيها، أي: كان الإنفاقُ بين الإسراف والقترِ قوامًا^(٢)؛ قاله الفراء^(٣). وله قولٌ آخر يجعل «بَيْنَ» اسم كان وينصبها؛ لأن هذه الألفاظ كثر^(٤) استعمالها، فتركت على حالها في موضع الرفع. قال النحاس^(٥): ما أدري ما وجهُ هذا؛ لأنَّ «بينًا» إذا كانت في موضع رفعٍ رُفعت؛ كما يقال: بينُ عينيه أحمرٌ.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾. إخراجُ لعباده المؤمنين من صفات الكفرة في عبادتهم الأوثان، وقتلهم النفس بؤاد البنات، وغير ذلك من الظلم والاعتيال والغارات، ومن الزنى الذي كان عندهم مباحًا^(٦).

وقال مَنْ صَرَفَ هذه الآية عن ظاهرها من أهل المعاني: لا يليقُ بمن أضافهم الرحمن إليه إضافة الاختصاص، وذكرهم ووصفهم^(٧) من صفات المعرفة والتشريف وقوعُ هذه الأمور القبيحة منهم حتى يُمدحوا بنفيتها عنهم؛ لأنهم أعلى وأشرف، فقال: معناها لا يدعون الهوى إلهاً، ولا يُذَلُّون أنفسهم بالمعاصي فيكون قتلاً لها.

(١) في (د) و(م): والقوام بكسر القاف. والمثبت موافق لمعاني القرآن للنحاس ٥٠/٥ والكلام منه.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٥٢٥/٢.

(٣) في معاني القرآن له ٢٧٢/٢ - ٢٧٣.

(٤) في (د) و(ز): كثيراً، وفي (م): كثير. والمثبت من (ظ) وهو الموافق لمشكل إعراب القرآن ٥٢٥/٢ والكلام منه.

(٥) في إعراب القرآن له ١٦٨/٣.

(٦) المحرر الوجيز ٢٢٠/٤.

(٧) في (ظ): وذكر وصفهم، وفي المفهم: ووصفهم بما ذكرهم.

ومعنى ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: إلا بسكين الصبر، وسيف المجاهدة، فلا ينظرون إلى دنيا^(١) ليست لهم بمحرّم بشهوة فيكون سفاهاً؛ بل بالضرورة، فيكون كالنكاح. قال شيخنا أبو العباس^(٢): وهذا كلامٌ رائع، غير أنه عند السّبر مائق^(٣)، وهي نبعة باطنية، ونزعة باطنية، وإنما يصح^(٤) تشریفُ عباد الرحمن باختصاص الإضافة بعد أن تحلّوا بتلك الصفات الحميدة، وتخلّوا عن نقائص ذلك من الأوصاف الذميمة، فبدأ في صدر هذه الآيات بصفات التحليّ تشریفاً لهم، ثم أعقبها بصفات التحليّ تقعيداً لها، والله أعلم.

قلت: ومما يدلُّ على بطلان ما ادعاه هذا القائل من أن تلك الأمور ليست على ظاهرها ما روى مسلمٌ من حديث عبد الله بن مسعود قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعو لله نداً وهو خلقك» قال: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك» قال: ثم أي؟ قال: «أن تزني حليلة جارك». فأنزل الله تعالى تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾^(٥).

والأثامُ في كلام العرب العقاب، وبه فسّر^(٦) ابنُ زيدٍ وقادةُ هذه الآية.

ومنه قول الشاعر:

جَزَى اللّهُ ابْنَ عُرْوَةَ حَيْثُ أَمْسَى عُقُوقاً وَالْعُقُوقُ لَهُ أَثَامٌ^(٧)

(١) في (د) و(ز) و(م) ومطبوع المفهم: نساء، والمثبت من (ظ) وكذلك جاءت العبارة في نسخ المفهم كما ذكر محققوه، وينظر لطائف الإشارات ٢/٦٥٠ - ٦٥١.

(٢) في المفهم ٣٨٣/٧.

(٣) المائق: الهالك حمقاً وغباوة. اللسان (موق).

(٤) في (ظ) و(م): صح.

(٥) أخرجه مسلم برقم (٨٦): (١٤١) دون ذكر الآية، وبرقم (٨٦): (١٤٢): مع ذكر الآية وفيه روى ابن مسعود أن السائل رجل. وأخرجه أحمد (٤١٣٤) والبخاري (٦٠٠١) بالسباق الذي ذكره المصنف.

(٦) في (د) و(ز) و(م): قرأ، والمثبت من (ظ) والمحرف الوجيز ٤/٢٢٠ والكلام منه.

(٧) البيت لبُلْعَاءِ بن قيس الكناني كما في مجاز القرآن ٢/٨١، وتفسير الطبري ١٧/٥٥٥. وهو في =

أي: جزاءً وعقوبة. وقال عبد الله بن عمرو وعكرمة ومجاهد: إن «أثاماً» وإد في جهنم جعله الله عقاباً للكفرة^(١). قال الشاعر:

لَقِيتَ الْمَهَالِكِ فِي حَرْبِنَا وَبَعْدَ الْمَهَالِكِ تَلَقَى أَثَامَا^(٢)
وقال السُّدِّي: جبلٌ فيها^(٣). قال:

وَإِنَّ مُقَامَنَا نَدَعُو عَلَيْكُمْ بِأَبْطَحَ ذِي الْمَجَازِ لَهُ أَثَامَا^(٤)
وفي صحيح مسلم^(٥) أيضاً عن ابن عباس: أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، وزَنَوْا فأكثروا؛ فاتوا محمداً ﷺ، فقالوا: إنَّ الذي تقولُ وتدعو إليه لحسن، ولو تُخبرنا أنَّ^(٦) لِمَا عملنا كفارة، فنزلت: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾. ونزل: ﴿يَكِيدُوا الَّذِينَ اسْتَرْفَوْا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية [الزمر: ٥٣].

وقد قيل: إنَّ هذه الآية: ﴿يَكِيدُوا الَّذِينَ اسْتَرْفَوْا﴾ نزلت في وحشي قاتل حمزة؛ قاله سعيد بن جبير وابنُ عباس، وسيأتي في «الزُّمر» بيانه^(٧).

= لسان العرب (أثم) منسوبٌ لشافع الليثي.

(١) المحرر الوجيز ٢٢٠/٤، وقول عبد الله بن عمرو وعكرمة ومجاهد أخرجه الطبري ٥١٣/١٧ - ٥١٤.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ١٥٨/٤.

(٣) كذا في النسخ، وقول السدي كما ذكره الماوردي في النكت والعيون ١٥٨/٤ والكلام منه: الجزاء وهو المتوافق مع الشاهد الآتي.

(٤) لفظ الشطر الأول في (م): وكان مقامنا ندعوا عليهم. وهو كذلك في اللسان (أثم) وفي (د) و(ز) و(ظ): وإن مقاماً يدعوا عليكم. والمثبت من ديوان بشر بن أبي خازم ص ٢١١، والأبطح: مسيل واسع فيه دفاق الحصى. اللسان (بطح). وذو المجاز: موضع سوق بعرفة، كانت تقوم في الجاهلية ثمانية أيام. معجم البلدان ٥٥/٥.

(٥) برقم (١٢٢): (١٩٣)، وأخرجه البخاري (٤٨١٠).

(٦) في (د) و(ز) و(م): وهو يخبرنا بأن. والمثبت من (ظ) وهو الموافق للمصادر.

(٧) عند تفسير الآية (٥٣) منها. وخبر ابن عباس سيأتي ثمة مطولاً. وأخرجه الواحدي في أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: بما يحقُّ أن تُقتَلَ به النفوس؛ من كفرٍ بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان؛ على ما تقدّم بيانه في «الأنعام»^(١).

﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ فيستحلّون الفروجَ بغير نكاح ولا ملك يمين. ودلّت هذه الآية على أنه ليس بعد الكفر أعظم من قتل النفس بغير الحق، ثم الزنى؛ ولهذا ثبت في حد الزنا القتل لمن كان محصناً، أو أقصى الجلد لمن كان غير مُحصن.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . يُضَعَّفَ لَهُ الْعَذَابُ﴾ قرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي: «يُضَاعَفُ. وَيَخْلُدُ» جزماً، وقرأ ابن كثير: «يُضَعَّفُ» بشد العين وطرح الألف؛ وبالجزم في «يُضَعَّفُ. وَيَخْلُدُ»^(٢). وقرأ طلحة بن سليمان: «نُضَعَّفُ» بضمّ النون وكسر العين المشدّدة، «الْعَذَابُ» نصب، «وَيَخْلُدُ» جزم، وهي قراءة أبي جعفر وشيبة. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: «يُضَاعَفُ. وَيَخْلُدُ» بالرفع فيهما على العطف والاستئناف. وقرأ طلحة بن سليمان: «وَتَخْلُدُ» بالتاء على معنى مخاطبة الكافر^(٣). وروي عن أبي عمرو: «وَيُخْلُدُ» بضمّ الياء من تحت وفتح اللام^(٤). قال أبو علي^(٥): وهي غلطٌ من جهة الرواية.

و«يُضَاعَفُ» بالجزم بدلٌ من «يَلْقَى» الذي هو جزاء الشرط. قال سيبويه: مضاعفة العذاب لُقّي الأثام^(٦). قال الشاعر:

(١) ١٠٩/٩.

(٢) السبعة ص ٤٦٧، والتيسير ص ١٦٤، وفيهما قراءة ابن عامر: يُضَعَّفُ، وَيَخْلُدُ، ووافق حمزة ونافعاً والكسائي من السبعة في قراءتهم لهذين الحرفين: عاصم في رواية حفص، وأبو عمرو. وأما ما ذكره المصنف من قراءة ابن عامر، فهو في المحرر الوجيز ٢٢٠/٤ (والكلام منه): وكذلك ذكر عنه أبو عمرو الداني في جامع البيان ٣١٤/٢ أنه جَزَمَ هذين الحرفين، غير أنه قال: يُضَعَّفُ، بحذف الألف وتشديد العين، كقراءة ابن كثير.

(٣) المحرر الوجيز ٢٢٠/٤ - ٢٢١. وقد قرأ أبو جعفر: يُضَعَّفُ وَيَخْلُدُ، كقراءة ابن كثير، وقراءة طلحة ابن سليمان: تخلّد؛ بالتاء، في المحتسب ١٢٥/٢، وينظر النشر ٢٢٨/٢ و ٣٣٤.

(٤) ذكر هذه الرواية ابن مجاهد في السبعة ص ٤٦٧ وقال: وهي غلط.

(٥) في الحجة في القراءات السبع ٣٥٠/٥.

(٦) المحرر الوجيز ٢٢٠/٤ - ٢٢١.

مَتَى تَأْتِنَا تُلْمِمُ بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدُ حَطْبًا جَزَلًا وَنَارًا تَأَجَّجًا^(١)
وقال آخر:

إِنَّ عَلَيَّ اللَّهَ أَنْ تُبَايَعَا تُوْخِذَ كَرَهَا أَوْ تَجِيءَ طَائِعَا^(٢)
وأما الرفع ففيه قولان: أحدهما: أن يقطعها^(٣) مما قبله. والآخر: أن يكون
محمولاً على المعنى؛ كأن قائلها قال: ما لقي الأثام؟ فقبل له: يُضَاعَفُ لَهُ
العذاب^(٤). و﴿مُهَكَاتًا﴾ معناه: ذليلاً خاسئاً مُبْعَدًا مطروداً.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ
سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ لا خلاف بين العلماء أن
الاستثناء عامل في الكافر والزاني. واختلفوا في القاتل من المسلمين^(٥) على ما تقدم
بيانه في «النساء»^(٦).

ومضى في «المائدة»^(٧) القول في جواز التَّراخي في الاستثناء في اليمين، وهو
مذهب ابن عباس مستدلاً بهذه الآية.

قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ قال النحاس^(٨): من أحسن

(١) البيت في الكتاب ٨٦/١، ونسبه البغدادي في خزنة الأدب ٩٠/٩ لعبيد الله بن الحر. وقال في
الخزنة ٩٦/٩ - ٩٧: فَإِنَّ تُلْمِمٌ فِيهِ بَدَلٌ مِنْ تَأْتِنَا... والحطب الجزل، بفتح الجيم: الغليظ منه، يريد
أنهم يوقدون الجزل من الحطب لتقوى نارهم فينظر إليها الضيوف عن بعد ويقصدونها.

(٢) البيت في الكتاب ١٥٦/١، وخزنة الأدب ٢٠٣/٥. يحلف الشاعر على مخاطبه بالله، أنه لا بد أن
يباع. وهو من أبيات سيويه الخمسين التي لم يعرف قائلها. الخزنة ٢٠٩/٥ - ٢١٠.

(٣) في (م) تقطعه.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١٦٨/٣.

(٥) المحرر الوجيز ٢٢١/٤.

(٦) ٣٩/٧ وما بعدها.

(٧) ١٣٥/٨ وما بعدها.

(٨) في إعراب القرآن ١٦٩/٣.

ما قيل فيه: إنّه يكتب موضع كافرٍ: مؤمن، وموضع عاصٍ: مطيع.

وقال مجاهد والضحاك^(١): أن يبدلهم الله من الشرك الإيمان؛ ورؤي نحوه عن الحسن. قال الحسن: قومٌ يقولون: التبديل في الآخرة، وليس كذلك، إنّما التبديلُ في الدنيا؛ يُبدلهم الله إيماناً من الشرك، وإخلاصاً من الشكّ، وإحصاناً من الفجور^(٢). وقال الزجاج^(٣): ليس يجعل^(٤) مكان السيئة الحسنة، ولكن يجعل مكان السيئة التوبة، والحسنة مع التوبة.

وروى أبو ذرّ عن النبي ﷺ: أنّ السيئاتِ تبدّل بحسنات^(٥). ورؤي معناه عن سلمان الفارسي وسعيد بن جبير وغيرهما^(٦).

قال أبو هريرة: ذلك في الآخرة فيمن غلبت حسناته على سيئاته، فيبدل الله السيئات حسنات^(٧). وفي الخبر: «لَيَتَمَنَّيَنَّ أَقْوَامٌ أَنَّهُمْ أَكثَرُوا مِنَ السَّيِّئَاتِ» فقيل: ومن هم؟ قال: «الذين يُبدّل الله سيئاتهم حسنات». رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ^(٨)؛ ذكره الثعلبي والقشيري. وقيل: التبديلُ عبارةٌ عن الغفران، أي: يغفر الله لهم تلك السيئات لا أن يبدّلها حسنات.

قلتُ: فلا يتعد في كرم الله تعالى إذا صحّت توبة العبد أن يضع مكان كل سيئة حسنة؛ وقد قال ﷺ لمعاذ: «أَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِي

(١) قول مجاهد أخرجه الفريابي وعبد بن حميد كما ذكر السيوطي في الدر المنثور ٧٩/٥ ، وقول الضحاك أخرجه الطبري ٥١٧/١٧ - ٥١٨ مطولاً.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٣٤/٨ (١٥٤٣٣).

(٣) في معاني القرآن له ٧٦/٤ ، ونقله المصنف عنه بواسطة معاني القرآن للنحاس ٥٣/٥ .

(٤) في (م): بجعل. في الموضعين.

(٥) حديث أبي ذر سبرد مطولاً.

(٦) أخرجه عنهما ابن أبي حاتم ٢٧٣٣/٨ - ٢٧٣٤ (١٥٤٣٣) و (١٥٤٣٩).

(٧) النكت والعيون ١٥٨/٤ .

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٣٣/٨ (١٥٤٢٩) عن أبي هريرة موقوفاً.

«حسن»^(١). وفي صحيح مسلم^(٢) عن أبي ذرّ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة، وآخر أهل النار خروجاً منها؛ رجلٌ يؤتى به يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها. فتعرض عليه صغار ذنوبه. فيقال: عمّلت يوم كذا وكذا وكذا، وعمّلت يوم كذا وكذا وكذا، فيقول: نعم. لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفقٌ من كبار ذنوبه أن تُعرض عليه. فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة. فيقول: يا رب، قد عمّلت أشياء لا أراها هاهنا». فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه.

وقال أبو طویل^(٣): يا رسول الله، أرأيت رجلاً عمل الذنوب كلها ولم يترك منها شيئاً، وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا اقتطعها، فهل له من توبة؟ قال: «هل أسلمت» قال: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنك عبد الله ورسوله. قال «نعم. تفعل الخيرات، وتترك السيئات، يجعلهن الله كلهن خيرات». قال: وغدّراتي وفجّراتي يا نبيّ الله؟ قال: «نعم». قال: الله أكبر! فما زال يكرّرها حتى تواري^(٤). ذكره الثعلبي. قال مبشر بن عبيد^(٥) - وكان عالماً بالنحو والعربية^(٦) - : الحاجّة: الذي يقطع^(٧) على الحاجّ إذا توجهوا. والداجة: الذي يقطع عليهم إذا قفلوا. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾.

(١) أخرجه أحمد (٢١٩٨٨)، وسلف ٥٩/١٢.

(٢) برقم (١٩٠): (٣١٤)، وهو عند أحمد (٢١٣٩٣)، (٢١٤٩٢).

(٣) هو شطب الممدود الكندي، نزل الشام وسكن بها. الإصابة ٧٨/٥ - ٧٩، والاستيعاب (بهامش الإصابة) ٨٤/٥ - ٨٦.

(٤) أخرجه البزار (٣٢٤٤) - كشف الأستار، والطبراني في الكبير (٧٢٣٥). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣١/١: رواه الطبراني والبزار بنحوه. ورجال البزار رجال الصحيح غير محمد بن هارون أبي نشيط وهو ثقة. وقال ابن حجر في الإصابة ٧٩/٥: هو على شرط الصحيح. وأخرجه ابن حجر أيضاً في الأمالي المطلقة ص ١٤٤-١٤٥ ثم قال بعده: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٥) هو القرشي، أبو حفص الحمصي، كوفي الأصل. قال أحمد: كان يضع الحديث، وقال البخاري: روى عنه بقية، منكر الحديث. تهذيب الكمال ١٩٤/٢٧، وميزان الاعتدال ٤٣٣/٣.

(٦) ميزان الاعتدال ٤٣٣/٣.

(٧) في (د) و(م): التي تقطع، (في الموضعين)، وينظر الاستيعاب (بهامش الإصابة) ٨٦/٥، والأمالي المطلقة ص ١٤٥.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ ﴿٧١﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ لا يقال: من قام فإنه يقوم؛ فكيف قال: من تاب فإنه يتوب؟ فقال ابن عباس: المعنى من آمن من أهل مكة وهاجر، ولم يكن قتل وزني، بل عمل صالحاً، وأدى الفرائض؛ فإنه يتوب إلى الله متاباً، أي: فإنني قد متهمتهم وفضلتهم على من قاتل النبي ﷺ، واستحل المحارم^(١).

وقال القفال: يحتمل أن تكون الآية الأولى فيمن تاب من المشركين، ولهذا قال: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾، ثم عطف عليه من تاب من المسلمين، وأتبع توبته عملاً صالحاً، فله حكم التائبين أيضاً.

وقيل: أي: من تاب بلسانه ولم يحقق ذلك بفعله، فليست تلك التوبة نافعة، بل من تاب وعمل صالحاً، فحقق توبته بالأعمال الصالحة؛ فهو الذي تاب إلى الله متاباً، أي: تاب حق التوبة، وهي النصوح، ولذلك أكد بالمصدر. فـ «متاباً» مصدرٌ معناه التأكيد^(٢)، كقوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] أي: فإنه يتوب إلى الله حقاً فيقبل الله توبته حقاً^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ ﴿٧٢﴾
فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: لا يحضرون الكذب والباطل ولا يشاهدونه. والزور: كلُّ باطلٍ زورٌ وزُورٍ، وأعظمه الشرك وتعظيم الأنداد، وبه فسر الضحَّاك وابن زيد وابن عباس^(٤). وفي رواية عن ابن عباس أنه أعيادُ المشركين. عكرمة: لعبٌ كان في الجاهلية يسمَّى بالزور^(٥). مجاهد: الغناء؛

(١) الوسيط للواحدى ٣/٣٤٧ - ٣٤٨.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/١٦٩.

(٣) لفظة: حقاً. ليست في (د) و(ز).

(٤) المحرر الوجيز ٤/٢٢٢. وأخرج قولي الضحك وابن زيد الطبري ١٧/٥٢٢.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٤٢٠، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/٢٧٣٨ (١٥٤٥٨).

وقاله محمدُ ابن الحنفيةَ أيضاً. ابن جُريج: الكذب^(١)؛ ورُوي عن مجاهد^(٢). وقال عليُّ بن أبي طلحةَ ومحمد بن علي: المعنى: لا يشهدون بالزور، من الشهادة لا من المشاهدة^(٣).

قال ابن العربي^(٤): أمّا القولُ بأنّه الكذبُ فصحيح؛ لأنَّ كلَّ ذلك إلى الكذب يرجع، وأمّا من قال: إنّه لِعِبِّ كان في الجاهلية؛ فإنّه يَحْرُمُ ذلك إذا كان فيه قمارٌ أو جهالة، أو أمرٌ يعود إلى الكفر، وأمّا القولُ بأنّه الغناء فليس ينتهي إلى هذا الحدِّ.

قلت: من الغناء ما ينتهي سماعه إلى التحريم، وذلك كالأشعار التي توصف فيها الصور المستحسّنة والخمرُ وغير ذلك مما يُحرِّك الطُّباع ويُخرِجها عن الاعتدال، أو يثير كامناً من حبِّ اللهو؛ مثل قول بعضهم:

ذهبيُّ اللَّونِ تحسب من وجنتيه النَّارُ تُقتدَحُ
خوفوني من فضيحتهِ ليثته وافى وأفتضحُ
لاسيماً إذا اقترنَ بذلك شبَّابَاتُ وطارَاتُ مثل ما يُفعلُ اليومَ في هذه الأزمان،
على ما بيّناه في غير هذا الموضع.

وأما من قال: إنه شهادة الزور؛ وهي:

الثانية: فكان عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه يجلدُ شاهدَ الزورِ أربعين جلدة، ويُسخمُ وجهه، ويحلقُ رأسه، ويَطوفُ به في السوق^(٥). وقال أكثرُ أهل العلم: ولا تُقبَلُ له

(١) قولاً مجاهد وابن جريج أخرجهما الطبري ٥٢٢/١٧، وقول محمد ابن الحنفية أخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٣٧/٨ (١٥٤٥٠).

(٢) لم نقف عليه.

(٣) المحرر الوجيز ٢٢٢/٤.

(٤) في أحكام القرآن ١٤٢٠/٣.

(٥) أخرج خبر ضرب عمر شاهد الزور البيهقي في السنن الكبرى ١٤١/١٠ - ١٤٢ وليس فيه أنه حلق شعره. وأخرج عبد الرزاق في مصنفه (١٥٣٩٢)، وابن أبي شيبة (٨٦٩٢)، والبيهقي ١٤٢/١٠ أن عمر ابن الخطاب كتب إلى عماله في كور الشام في شاهد الزور أن يجلد أربعين ويحلق رأسه، ويسخم وجهه ويظاف به ويظال حبسه. اهـ. هذا لفظ البيهقي. وقال في هذه الرواية والتي قبلها. هاتان الروايتان ضعيفتان ومنقطعتان.

شهادةً أبداً، وإن تاب وحسنت حاله فأمره إلى الله. وقد قيل: إنه إذا كان غير مبرر فحسنت حاله قبلت شهادته حسبما تقدم بيانه في سورة الحج، فتأمله هناك^(١).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ قد تقدم الكلام في اللغو^(٢)، وهو كل سقَط من قول أو فعل؛ فيدخل فيه الغناء واللهو وغير ذلك ممَّا قاربه، ويدخل فيه: سَفَهُ المشركين وأذاهم للمؤمنين، وذكر النساء، وغير ذلك من المنكر^(٣). وقال مجاهد: إذا أودوا صَفَحُوا. وروى عنه: إذا ذُكِرَ النِّكاحُ كُنُوا عنه. وقال الحسن: اللغو المعاصي كلها^(٤). وهذا جامع. و«كراماً» معناه مُعْرِضِينَ مُنْكَرِينَ لا يَرْضُونَهُ، ولا يُمَالِئُونَ عَلَيْهِ، ولا يُجَالِسُونَ أَهْلَهُ. أي: مروا مرَّ الكرام الذين لا يدخلون في الباطل. يقال: تَكَرَّم فلان عما يشينه، أي: تنزَّه وأكرم نفسه عنه^(٥). وروى أن عبد الله بن مسعود^(٦) سمع غناءً فأسرع وذهب، فبلغ رسول الله ﷺ فقال: «لقد أصبح ابن أم عبد كريماً»^(٧). وقيل: من المرور باللغو كريماً أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: إذا قرئ عليهم

(١) ٥٥/١٢.

(٢) ١٧/٤.

(٣) المحرر الوجيز ٢٢٢/٤.

(٤) أخرج الأقوال المذكورة الطبري ٥٢٤/١٧ - ٥٢٥.

(٥) تفسير البغوي ٣٧٨/٣.

(٦) في (د) و(ز) و(ظ): عمر، بدل: مسعود.

(٧) في (د) و(ظ): ابن آدم عبداً كريماً، والكلام في المحرر الوجيز ٢٢٢/٤، وروى الغزالي هذا الخبر في الإحياء ١٧٧/٣ بنحوه، ونسبه العراقي في تخريجه لابن المبارك في البر والصلة.

القرآنُ ذكروا آخرتهم ومعادهم، ولم يتغافلوا حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع^(١). وقال: ﴿لَمْ يَخْرُؤْا﴾ وليس ثمَّ خُرور؛ كما يقال: قعد يبكي، وإن كان غيرَ قاعد؛ قاله الطبريُّ واختاره^(٢)؛ قال ابن عطية^(٣): وهو أن يخرُّوا صُماً وعُمياناً هي صفة الكفار، وهي عبارة عن إعراضهم؛ وقرن ذلك بقولك: قعد فلانٌ يشتمني، وقام فلان يبكي، وأنت لم تقصد الإخبارَ بعود ولا قيام، وإنما هي توطئات في الكلام والعبارة.

قال ابن عطية^(٤): فكأنَّ المستمع للذكر قائمُ القناة قويُّمُ الأمر، فإذا أعرض وضلَّ كان ذلك خُروراً، وهو السقوط على غير نظام وترتيب؛ وإن كان قد شُبَّه به الذي يخرُّ ساجداً، لكن أصله على غير ترتيب. وقيل: أي: إذا تُليت عليهم آياتُ الله، وُجِلت قلوبهم فخرُّوا سُجداً وبُكيًّا، ولم يخرُّوا عليها صُماً وعُمياناً^(٥).

وقال الفراء^(٦): أي: لم يقعدوا على حالهم الأولِ كأن لم يسمعوا.

الثانية: قال بعضهم: إنَّ من سمع رجلاً يقرأ سجدة، يسجد معه؛ لأنه قد سمع آياتِ الله تتلى عليه. قال ابن العربي^(٧): وهذا لا يلزم إلا القارئ وحده، وأما غيره فلا يلزمه ذلك إلا في مسألة واحدة^(٨)؛ وهو أن الرجل إذا تلا القرآنَ وقرأ السجدة، فإن كان الذي جلس معه جلس لِيَسْمَعه، فليسجد معه، وإن لم يلتزم السماع معه فلا سجود عليه. وقد مضى هذا في «الأعراف»^(٩).

(١) تفسير غريب القرآن ص ٣١٥، وينظر المحرر الوجيز ٤/٢٢٢.

(٢) في تفسيره ١٧/٥٢٨.

(٣) في المحرر الوجيز ٤/٢٢٢.

(٤) الموضوع السابق.

(٥) في المحرر الوجيز بنحوه.

(٦) في معاني القرآن ٢/٢٧٤.

(٧) في أحكام القرآن ٣/١٤٢١. وما قبله منه.

(٨) في أحكام القرآن زيادة: ذكرها مالك.

(٩) ٤٤٠/٩.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ
وَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ
فِيهَا نَجِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا
يَعْبُؤُنَا بِكُرْرِ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ قال
الضَّحَّاك: أي: مطيعين لك^(١). وفيه جواز الدعاء بالولد، وقد تقدّم^(٢).

والذُّرِّيَّةُ تكون واحداً وجمعاً. فكونها للواحد قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً
طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨] ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]. وكونها للجمع: ﴿ذُرِّيَّةً
صِغْفَافًا﴾^(٣) [النساء: ٩]. وقد مضى في «البقرة» اشتقاقها مستوفى^(٤).

وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر والحسن: «وَذُرِّيَّاتِنَا». وقرأ أبو عمرو وحمزة
والكسائي وطلحة وعيسى: «وذريتنا» بالإنفراد^(٥).

«قُرَّةَ أَعْيُنٍ» نصب على المفعول، أي: قرّة أعين لنا. وهذا نحو قوله عليه الصلاة
والسلام لأنس: «اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيه» وقد تقدّم بيانه في «آل عمران»
و«مريم»^(٦). وذلك أنّ الإنسان إذا بورك له في ماله وولده، قرّت عينه بأهله وعباله،
حتى إذا كانت عنده زوجةً اجتمعت له فيها أمانيه، من جمال وعِفَّةٍ ونظر وحوطة، أو
كانت عنده ذريةٌ محافظون على الطاعة، معاونون له على وظائف الدين والدنيا، لم

(١) معاني القرآن للنحاس ٥/٥٥. وقد أخرجه الطبري ١٧/٥٣٠ عن ابن عباس وغيره.

(٢) ١١٠/٥.

(٣) الوسيط للواحد ٣/٣٤٨.

(٤) ٣٦٨/٢.

(٥) المحرر الوجيز ٤/٢٢٢. وقرأ عاصم في رواية حفص بالجمع، وفي رواية أبي بكر بالإنفراد. السبعة
ص ٤٦٧، والتيسير ص ١٦٤.

(٦) ١١٠/٥ - ١١١، ١٣/٤١٣. وتقدم الحديث في الموضع الأول.

يلتفت إلى زوجٍ أحيدٍ ولا إلى ولده، فتسكن عينه عن الملاحظة، ولا تمتدُّ عينه إلى ما ترى؛ فذلك حينُ قرّةِ العين، وسكونِ النفس^(١).

ووحّد «قرّة» لأنه مصدر؛ تقول: قرّت عينك قرّة^(٢). وقرّة العين يحتمل أن تكون من القرار، ويحتمل أن تكون من القرّ، وهو الأشهر^(٣). والقرّ: البرد؛ لأن العرب تتأذى بالحرّ وتستريح إلى البرد^(٤). وأيضاً فإنّ دمع السرور بارد، ودمع الحزن سُخن، فمن هذا يقال: أقرّ الله عينك، وأسخن الله عين العدو^(٥). وقال الشاعر^(٦):

فكم سخّنت بالأمس عينٌ قريرةٌ وفقرت عيونٌ دمعها اليوم ساكبُ
قوله تعالى: ﴿وَأَجْمَعْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي: قدوةً يُقتدى بنا في الخير، وهذا لا يكون إلا أن يكون الداعي متقياً قدوةً؛ وهذا هو قصد الداعي^(٧).

وفي الموطأ: «إنكم أيها الرّهط أئمةٌ يُقتدى بكم»^(٨). وكان ابنُ عمر يقول في دعائه: اللهم اجعلنا من أئمة المتقين^(٩).

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٤٢١/٣ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢٧٤/٢ .

(٣) المحرر الوجيز ٢٢٢/٤ .

(٤) تفسير البغوي ٣٧٩/٣ .

(٥) المحرر الوجيز ٢٢٢/٤ .

(٦) هو ابن عبد ربه، والبيت في ديوانه ص ٢٢ .

(٧) المحرر الوجيز ٢٢٢/٤ .

(٨) الحديث بتماحه: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى على طلحة بن عبيد الله ثوباً مصبوغاً وهو مُخرم. فقال عمر: ما هذا الثوب المصبوغ يا طلحة؟ فقال طلحة: يا أمير المؤمنين، إنما هو مَدْر. فقال عمر: إنكم أيها الرّهط أئمة يقتدي بكم الناس، فلو أن رجلاً جاهلاً رأى هذا الثوب لقال: إن طلحة بن عبيد الله كان يلبس الثياب المصبغة في الإحرام. فلا تلبسوا أيها الرّهط شيئاً من هذه الثياب المصبغة. الموطأ ٣٢٦/١. قال ابن حجر في المطالب العالية ٣٧٣/٦ (دار العاصمة): هذا إسناد صحيح موقوف، وهو أصل في سد الذرائع.

(٩) أحكام القرآن لابن العربي ١٤٢٢/٣ . وأثر ابن عمر رضي الله عنهما في الموطأ ٢١٩/١ بلاغاً، ووصله ابن أبي شيبة ٤٣٨-٤٣٩، والبيهقي ٩٤/٥ مطولاً.

وقال: «إماماً» ولم يقل: أئمة على الجمع؛ لأن الإمام مصدر. يقال: أمّ فلانٌ فلاناً^(١) إماماً؛ مثل الصيام والقيام. وقال بعضهم: أراد: أئمة، كما يقول القائل: أميرنا هؤلاء، يعني أمراءنا. وقال الشاعر:

يا عاذلاتي لا تُردن^(٢) ملامتي إن العواذل لسنن لي بأمير^(٣)
أي: أمراء^(٤).

وكان القشيريُّ أبو القاسم شيخُ الصوفية يقول: الإمامة بالدعاء لا بالدعوى، يعني: بتوفيق الله وتيسيره ومثته، لا بما يدَّعيه كلُّ أحدٍ لنفسه^(٥). وقال إبراهيم النَّحَّعي: لم يطلبوا الرياسة، بل بأن يكونوا قدوةً في الدين^(٦). وقال ابن عباس^(٧): اجعلنا أئمةً هدى، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ يَا مَرْغَبُ﴾ [السجدة: ٢٤]. وقال مكحول: اجعلنا أئمةً في التقوى؛ يقتدي بنا المتقون^(٨). وقيل: هذا من المقلوب؛ مجازُه: واجعل المتقين لنا إماماً؛ وقاله مجاهد^(٩). والقول الأوّل أظهر وإليه يرجع قول ابن عباس ومكحول، ويكون فيه دليلٌ على أنّ طلب الرياسة في الدين نذب^(١٠).

(١) في (د) و(ز): أم القوم فلاناً، وفي (م): أم القوم فلان، والمثبت من (ظ) و(ف). وينظر تفسير الطبري ٥٣٣/١٧.

(٢) في (ظ) و(ف) و(م): تزدن.

(٣) الكلام بنحوه في معاني القرآن للأخفش ٦٤٣/٢. والبيت في الخصائص ١٧٤/٣، ومغني اللبيب ص ٢٧٩، قال البغدادي في شرح شواهد ٢٨٤/٤: البيت مشهور بتداول العلماء إياه في مصنفاتهم، ولم أقف على قائله، والله أعلم. وقد سلف البيت ٣٢٢/١٤ بنحوه.

(٤) الصحاح (ظهر).

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ١٤٢٢/٣. وكلام الإمام القشيري في لطائف الإشارات ٦٥٢/٢.

(٦) المحرر الوجيز ٢٢٢/٤.

(٧) أخرجه الطبري ٥٣٢/١٧.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٤٣/٨ (١٥٤٨٩).

(٩) تفسير البغوي ٣/٣٧٩، وأخرجه الطبري ٥٣٢/١٧ - ٥٣٣ بنحوه.

(١٠) النكت والعيون ١٦١/٤.

وإمامٌ واحدٌ يدلُّ على جمع؛ لأنه مصدرٌ كالقيام. قال الأخفش^(١): الإمام جمع أم؛ من: أمَّ يؤمُّ، جمع على فعال، نحو: صاحب وصحاب، وقائم وقيام. قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ «أُولَئِكَ» خبر «وعِبَادُ الرَّحْمَنِ»، في قول الزجاج على ما تقدّم^(٢)، وهو أحسنُ ما قيل فيه. وما تخلَّل بين المبتدأ وخبره أوصافهم من التحلِّي والتخلِّي؛ وهي إحدى عشرة: التواضع، والحلم، والتهجد، والخوف، وترك الإسراف والإقتار، والنزاهة عن الشرك والزنى والقتل، والتوبة، وتجنب الكذب، والعفو عن المسيء، وقبول المواعظ، والابتهاال إلى الله تعالى.

و«الغُرْفَةُ»: الدرجة الرفيعة، وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها، كما أنَّ الغرفة أعلى مساكن الدنيا. حكاه ابنُ شجرة. وقال الضحَّاك: الغرفة: الجنة^(٣). «بِمَا صَبَرُوا» أي: بصبرهم على أمر ربِّهم، وطاعة نبيِّهم عليه أفضل الصلاة والسلام. وقال محمد بن عليِّ بن الحسين: «بِمَا صَبَرُوا» على الفقر والفاقة في الدنيا. وقال الضحَّاك: «بِمَا صَبَرُوا» عن الشهوات^(٤).

﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا مِثْمَةَ وَسَلَامًا﴾ قرأ أبو بكر والمفضلُّ والأعمش ويحيى وحمزة والكسائيُّ وخلف: «وَيُلَقَّوْنَ» مخففة^(٥)، واختاره الفراء^(٦)؛ قال: لأن العرب تقول: فلان يُلقَى بالسلام وبالتحية وبالخير، بالباء^(٧)، وقلَّما يقولون: فلان يُلقَى السَّلامَ.

(١) كلامه في تفسير الرازي ١١٥/٢٤ مختصر.

(٢) ص ٤٦٦ من هذا الجزء، وكلام الزجاج في معاني القرآن له ٧٥/٤.

(٣) النكت والعيون ١٦١/٤.

(٤) كلام محمد الباقر أخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٤٤/٨ (١٥٤٩٧). وكلام الضحَّاك في النكت والعيون ١٦١/٤.

(٥) السبعة ص ٤٦٨، والتيسير ص ١٦٥، والنشر ٣٣٥/٢.

(٦) في معاني القرآن ٢٧٥/٢.

(٧) في (م): بالتاء. وينظر إعراب القرآن للنحاس ١٦٩/٣.

وقرأ الباقون: «وَيُلَقَّوْنَ»، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْهُمْ نَصْرَةٌ وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١].

قال أبو جعفر النحاس^(١): وما ذهب إليه الفراء واختاره غلط؛ لأنه يزعم أنها لو كانت «يُلَقَّوْنَ»، كانت في العربية: بتحية وسلام، وقال: كما يقال: فلان يُتَلَقَّى بالسلم وبالخير؛ فمن عجيب ما في هذا الباب^(٢) أنه قال: يتَلَقَّى، والآية «يُلَقَّوْنَ»، والفرق بينهما بيّن؛ لأنه يقال: فلان يُتَلَقَّى بالخير، ولا يجوز حذف الباء، فكيف يُشبه هذا ذلك؟ وأعجب من هذا أن في القرآن: ﴿وَلَقَدْهُمْ نَصْرَةٌ وَسُرُورًا﴾ ولا يجوز أن يُقرأ بغيره. وهذا بيّن أن الأولى خلاف ما قال.

والتحية من الله، والسلم من الملائكة. وقيل: التحية: البقاء الدائم^(٣) والملك العظيم؛ والأظهر أنهما بمعنى واحد، وأنهما من قبيل الله تعالى؛ دليله قوله تعالى: ﴿نَجَّيْتَهُمْ يَوْمَ يَقُونَهُ سَلَمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤] وسيأتي.

﴿خَلِدِينَ﴾ نصب على الحال^(٤) ﴿فِيهَا حَسَنَةٌ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُنَا بِكُورِي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ﴾ هذه آية مشكلة، تعلقت بها الملحدة. يقال: ما عبأت بفلان، أي: ما باليت به، أي: ما كان له عندي وزن ولا قَدْر^(٥).

وأصل يعبا من العبء، وهو الثقل. وقول الشاعر:

كَأَنَّ بَصْدْرَهُ وَبِجَانِبِيهِ عَبِيرًا بَاتَ يَغْبُوهُ عَرُوسُ

(١) في إعراب القرآن ٣/١٦٩ - ١٧٠.

(٢) لفظه: الباب ليست في (ف) والمصدر، وفي (د) و(ز): الكتاب.

(٣) النكت والعيون ٤/١٦١.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/١٧٠.

(٥) أمالي ابن السجري ١/٧٧.

أي: يجعل بعضه على بعض^(١). فالعِبَاءُ: الجِمل الثقيل، والجمع: أعباء. والعِبَاءُ المصدر. و«ما» استفهامية؛ ظهر في أثناء كلام الزجاج، وصرح به الفراء^(٢). وليس يبعد أن تكون نافية؛ لأنك إذا حكمت بأنها استفهام فهو نفياً خرج مخرج الاستفهام؛ كما قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

قال ابن السجري^(٣): وحقيقة القول عندي أن موضع «ما» نصب، والتقدير: أي عبء يعبأ بكم، أي: أي مبالاة يبالي ربي بكم لولا دعاؤكم، أي: لولا دعاؤه إياكم لتعبده، فالمصدر الذي هو الدعاء على هذا القول مضاف إلى مفعوله؛ وهو اختيار الفراء^(٤). وفاعله محذوف، وجواب لولا محذوف، كما حذف في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١]. تقديره: لم يعبأ بكم. ودليل هذا القول قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. فالخطاب لجميع الناس؛ فكأنه قال لقريش منهم: أي ما يبالي الله بكم لولا عبادتكم إياه أن^(٥) لو كانت؛ وذلك الذي يعبأ بالبشر من أجله. ويؤيد هذا قراءة ابن الزبير^(٦) وغيره: «فَقَدْ كَذَّبَ الْكَافِرُونَ»؛ فالخطاب بما يعبأ لجميع الناس، ثم يقول لقريش: فأنتم قد كذبتهم ولم تعبده، فسوف يكون التكذيب هو سبب العذاب لزاماً.

وقال النقاش وغيره: المعنى: لولا استغاثتكم إليه في الشدائد ونحو ذلك^(٧). بيانه: ﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] ونحو هذا.

(١) معاني القرآن للنحاس ٥٦/٥. والبيت لأبي زيد الطائي يصف أسداً، وهو في طبقات فحول الشعراء ٦٠٢/٢، والمعاني الكبير ٢٤٥/١، والصحاح (عاب). قال ابن قتيبة: المبير عند العرب: الزعفران.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٧٨/٤، ومعاني القرآن للفراء ٢٧٥/٢.

(٣) في أماليه ٨٠/١ - ٨١ وما قبله منه.

(٤) في معاني القرآن ٢٧٥/٢، ونقله المصنف عن أمالي ابن السجري.

(٥) في (ظ): إذ.

(٦) ستأتي قريباً.

(٧) المحرر الوجيز ٢٢٣/٤.

وقيل: «مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ» أي: بمغفرة ذنوبكم ولا هو عنده عظيم «لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ»
 معه الآلهة والشركاء. بيانه: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾^(١)
 [النساء: ١٤٧] قاله الضحاك^(٢).

وقال الوليد بن أبي الوليد^(٣): بلغني فيها: أي: ما خلقتكم ولي حاجة إليكم،
 إلا [أن] تسألوني فأغفر لكم وأعطيككم. وروى وهب بن مئنه أنه كان في التوراة: «يا
 ابن آدم، وعزتي ما خلقتك لأربح عليك، إنما خلقتك لتربح علي، فاتخذني بدلاً من
 كل شيء، فأنا خير لك من كل شيء».

قال ابن جنبي: قرأ ابن الزبير وابن عباس: «فَقَدْ كَذَّبَ الْكَافِرُونَ»^(٤). قال
 الزهراوي والنحاس^(٥): وهي قراءة ابن مسعود، وهي على التفسير للتاء والميم في
 «كَذَّبْتُمْ».

وذهب القُتَيْبِيُّ^(٦) والفارسي إلى أن الدعاء مضاف إلى الفاعل، والمفعول
 محذوف، الأصل: لولا دعاؤكم آلهة من دونه؛ وجواب «لَوْلَا» محذوف، تقديره في
 هذا الوجه: لَمْ يَعْبُدْكُمْ. ونظير قوله: لولا دعاؤكم آلهة قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ أي: كذبتُم بما دُعيتُم إليه؛ هذا على القول الأول؛ وكذبتُم

(١) ينظر تفسير البغوي ٣/٣٧٩.

(٢) قوله: وقاله الضحاك ليس في (ظ).

(٣) أبو عثمان المدني، مولى ابن عمر، وقيل: مولى عثمان. ذكره ابن حبان في الثقات وقال: ربما خالف
 على قلة روايته. تهذيب التهذيب ٤/٣٢٧، والأثر أخرجه ابن أبي حاتم ٨/٢٧٤٥ (١٥٥٠٨)، وما بين
 حاصرتين منه.

(٤) المحتسب ٢/١٢٦، وذكرها ابن خالويه ص ١٠٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما. وأخرجها الطبري
 ١٧/٥٣٧ - ٥٣٨ عنهما.

(٥) كلام الزهراوي في المحرر الوجيز ٤/٢٢٣، وكلام النحاس في إعراب القرآن ٣/١٧٠.

(٦) في تأويل مشكل القرآن ص ٣٣٩، ونقل المصنف كلامه وكلام الفارسي من أمالي ابن الشجري ١/٨١.

بتوحيد الله تعالى؛ على الثاني. ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أي: يكون تكذيبكم ملازماً لكم. والمعنى: فسوف يكون جزاء التكذيب، كما قال: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩] أي: جزاء ما عملوا، وقوله: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٠، الأنفال: ٣٥] أي: جزاء ما كنتم تكفرون. وحسن إضمار التكذيب لتقدم ذكركم فعله؛ لأنك إذا ذكرت الفعل، دلّ بلفظه على مصدره، كما قال: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْأَكْتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١١٠] أي: لكان الإيمان، وقوله: ﴿وَأَن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] أي: يرضى الشكر^(١). ومثله كثير.

وجمهور المفسرين على أن المراد باللزام هنا ما نزل بهم يوم بدر، وهو قول عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وأبي مالك ومجاهد ومقاتل وغيرهم^(٢). وفي صحيح مسلم^(٣) عن عبد الله: وقد مضت البطشة والدخان واللزام. وسيأتي مبيناً في سورة الدخان إن شاء الله تعالى^(٤). وقالت فرقة: هو توعدُّ بعدذاب الآخرة^(٥).

وعن ابن مسعود أيضاً: اللزام: التكذيبُ نفسه، أي: لا يعطون التوبة منه؛ ذكره الزهراوي^(٦)؛ فدخل في هذا يومُ بدرٍ وغيره من العذاب الذي يُلزمونه^(٧). وقال أبو عبيدة: لِزَامًا: فيصلاً^(٨)، أي: فسوف يكون فيصلاً بينكم وبين

(١) أمالي ابن الشجري ٨١/١ - ٨٢.

(٢) أخرجه عن ابن مسعود وأبي ومجاهد الطبري ١٧/٥٣٨-٥٣٩، وأخرجه عن أبي مالك ابن أبي حاتم ٢٧٤٦/٨ (١٥٥١٢).

(٣) برقم (٢٧٩٨).

(٤) عند تفسير الآية (١٠) منها.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٤٦/٨ (١٥٥١٣) عن الحسن.

(٦) المحرر الوجيز ٤/٣٢٣.

(٧) أمالي ابن الشجري ٨٢/١.

(٨) مجاز القرآن ٨٢/٢.

المؤمنين. والجمهور من القراء على كسر اللام؛ وأنشد أبو عبيدة لصخر:
فإِذَا يَنْجُجُوا مِنْ حَسْفِ أَرْضٍ فَقَدْ لَقِيَا حُتُوفَهُمَا لِزَامًا^(١)
وَلِزَامًا وَمَلَاظِمَةً وَاحِدًا.

وقال الطبري: «لِزَامًا» يعني: عذاباً دائماً لازماً، وهلاكاً مُفْنِيّاً يُلْحِقُ بعضكم ببعض؛ كقول أبي ذؤيب:

فَفَاجَأَهُ بَعَادِيَةٌ لِزَامٍ كَمَا يَتَفَجَّرُ الْحَوْضُ اللَّقِيفُ
يعني باللزام: الذي يتبع بعضه بعضاً، وباللقيف: المتساقط الحجارة المتهدّم^(٢).

النحاس^(٣): وحكى أبو حاتم عن أبي زيد، قال: سمعت قَعْنَبًا أبا السَّمَالِ يقرأ:
«لِزَامًا» بفتح اللام^(٤). قال أبو جعفر: يكون مصدرَ لَزِمَ، والكسر أولى، يكون مثل:
قِتَالٌ وَمِقَاتِلَةٌ، كما أجمعوا على الكسر في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ
لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩].

قال غيره: اللِّزَامُ بالكسر: مصدر لَزِمَ لِزَامًا، مثل: خاصم خصاماً، واللِّزَامُ بالفتح: مصدر لَزِمَ لِزَامًا، مثل: سَلِمَ سَلَامًا، أي: سلامة؛ فاللِّزَامُ بالفتح: اللِّزَامُ، واللِّزَامُ: الملازمة، والمصدر في القراءتين وقع موقع اسم الفاعل، فاللِّزَامُ وقع موقع ملازِمٍ، واللِّزَامُ وقع موقع لَزِمَ. كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾

(١) المصدر السابق. وصخر هو ابن عبد الله الخيثمي من بني هذيل. ولقب بصخر الغي لخلاعه، وشدة بأسه، وكثرة شره. الأغاني ٣٤٥/٢٢. والبيت في ديوان الهذليين ٦٥/٢. ورسالة الصاهل والشاحج ص ١٣٨، وهو في وصف حمازين.

(٢) تفسير الطبري ٥٣٧/١٧. وبيت أبي ذؤيب في ديوان الهذليين ١٠٢/١، وروايته فيه: فلم ير غير عادية لزَامًا، كما يتهدم الحوض اللقيف. والعادية: القوم يعدون على أرجلهم، أي: فحملتهم لزَامًا، كأنهم لزوموه لا يفارقون ما هم فيه. اللسان (لزم) والبيت فيه.

(٣) في إعراب القرآن ١٧٠/٣.

(٤) كذا في إعراب القرآن، وفي القراءات الشاذة ص ١٠٥ أنه قرأ: «لِزَامًا» بفتح اللام ولا ألف. وذكر في الدر المصون ٥٠٧/٨ عنه القراءتين. ولَزَامٌ بكسر الميم على وزن: حَزَامٍ. وينظر البحر المحيط ٥١٨/٦.

[الملك: ٣٠] أي: غائراً^(١).

قال النحاس^(٢): وللغراء قولٌ في اسم يكون؛ قال: يكون مجهولاً^(٣). وهذا غلط؛ لأن المجهول لا يكون خبره إلا جملة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ [يوسف: ٩٠]، وكما حكى النحويون: كان زيداً منطلقاً، يكون في كان مجهول، ويكون المبتدأ وخبره خبر المجهول، والتقدير: كان الحديث؛ فأما أن يقال: كان منطلقاً، ويكون في كان مجهول، فلا يجوز عند أحدٍ علمناه.

وبالله التوفيق، وهو المستعان، والحمد لله رب العالمين.

تم الجزء الخامس عشر من تفسير القرطبي
ويليه الجزء السادس عشر، ويبدأ بسورة الشعراء

(١) أمالي ابن الشجري ٨٢/١.

(٢) في إعراب القرآن ١٧١/٣.

(٣) في إعراب القرآن: يكون فيها مجهول. وكلام الفراء في معاني القرآن له ٢٧٥/٢.